المجلد
الثامن
والأربعون

شعارنا الوحيد إلى الإسلام من جديد

البعث الإسلامي

مجلّة اسلاميّة شهريّة جامعة

العدد التاسع

جمادى الثانية ١٤٢٥هـ

في هذا العدد

فمن يرد الله أن يهديه

العولمة و مشروعاتها ما لها و ما عليها

صليبيات جديدة في عصر العلم والانفتاح!

دعوة الإسلام للتعبير عن الرأي

العالم الإسلامي قبل الصحوة و بعدها

قضية الزواج مع الكتابيات في منظور الشرع الإسلامي

موقف الإسلام من الشعر

الشاعر الكويتي : خليفة الوقيان

تصوير الغرائز الجنسية في قصة نجيب محفوظ

التصور الجديد للحرية و التعاطف

تصدرها

مؤسسة الصحافة والنشر

Tel.: 2741221-2741231
Fax : 0522-2741221-2741231
Regd. No. LW-NP/64/2003/2005

AL-BAAS-EL-ISLAMI

(Vol.49, Issue-8) July 2004 (Monthly)

إصدارات جديدة:

في رحاب الدعوة

صفوة نفيسة من المقالات والمحاضرات في الدعوة

للداعية الحكيم، المفكر الإسلامي الكبير

العلامة السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي

إعداد

سيد عبد الماجد الغوري

دار الفارابي

للمعارف

Printed and Published by ATHAR HUSAIN on behalf of Majlis-e-Sahafat-wa-Nashriyat (Dept. of Journalism and Publicity) Nadwatul Ulama at Parekh Printing Press, Tagore Marg, Lucknow, U.P.

بسم الله الرحمن الرحيم

أنشأها :
فقيد الدعوة الإسلامية الأستاذ محمد الحسني -رحمه الله تعالى-
في عام ١٣٧٥هـ-١٩٥٥م

البعث الإسلامي

مجلة إسلامية شهرية جامعة

رئاسة التحرير
سعيد الأعظمي
واضح رشيد الندوي

المجلد الخامس والثلاثون
العدد التاسع
جمادى الثانية ١٤٢٥هـ
أغسطس ٢٠٠٤م

المراسلات
البعث الإسلامي
مؤسسة الصحافة والنشر
ص.ب ٩٣ - لكناؤ (الهند)
ALBAAS-EL-ISLAMI
C/o NADWATUL ULAMA
P.O. Box : 93, LUCKNOW
Pin : 226 007 (INDIA)
Ph: 0522-2741235

ندوة العلماء

تأسست ندوة العلماء و دار العلوم التابعة لها على مبدأ التوسط والاعتدال ، والجمع بين القديم الصالح والجديد النافع ، وبين الدين الخالد الذي لا يتغير، والعلم الذي يتغير ويتطور ويتقدم ، وبين طوائف أهل السنة التي لا تختلف في العقيدة و المنصوص ، و قامت من أول يومها على الإيمان بأن العلوم الإسلامية علوم حية نامية ، و أن منهاج الدراسة خاضع لناموس التغير و التجدد ، فيجب أن يتناوله الإصلاح و التجديد في كل عصر ومصر، وأن يزاد فيه ، ويحذف منه بحسب تطورات العصر ، و حاجات المسلمين و أحوالهم .

(أبو الحسن علي الحسني الندوي)

العبقري المطلوب !

العبقري العصامي الذي يأخذ من علوم الغرب ما تفتقر إليه أمته وبلاده ، وما ينفع عملياً ، وما ليس عليه طابع غرب أو شرق ، إنما هي علوم تجريبية تطبيقية ، وينفض عن كل ما يأخذه من الغرب غباراً لصق به في القرون المظلمة ، وفي عصر الثورة على الدين ، وفي حالة توتر أعصاب وقلق نفوس ، يأخذ العلوم المفيدة مجردة من روح الإلحاد والعداء للدين ، ومن النتائج الخاطئة ، ويطعمها بالإيمان بفاطر الكون ومدبره ، ويستنتج منها نتائج أعظم وأوسع وأعمق وأكثر سعادة للإنسانية مما توصل إليه أساتذتها الغربيون .

العبقري العصامي الذي لا ينظر إلى الغرب كإمام وزعيم خالد ، وإلى نفسه كمقلد وتلميذ دائم ، إنما ينظر إلى الغرب كزميل سبق ، وكقرين تفوق في بعض العلوم المادية والمعاشية ، فيأخذ منه ما فاته من التجارب ، ويفيض عليه بدوره ما سعد به من تراث النبوة ، ويعتقد أنه إن كان في حاجة إلى أن يتعلم من الغرب كثيراً ، فالغرب في حاجة إلى أن يتعلم منه كثيراً ، وربما كان ما يتعلمه الغرب منه أفضل مما يتعلمه هو من الغرب ، ويحاول أن ينهج - بذكائه وجمعه بين حسنات الغرب والشرق ، وقوى الروحانية والمادية - منهجاً جديداً يجدر بالغرب تقليده وتقديره ، ويضيف إلى المدارس الفكرية ، والمناهج الحضارية مدرسة جديدة تستحق كل عناية ودراسة وتقليد واتباع .

هذا هو العبقري العصامي الذي لا يزال مفقوداً في صفوف القادة والزعماء في العالم الإسلامي على كثرتهم وتنوعهم ، وهذا هو العملاق حقاً الذي يبدو في جانبه القادة المقلدون المطبقون صغاراً متواضعين كالأفزام .

(سماحة العلامة الندوي رحمه الله)

الاشتراكات السنوية

● في الهند :
مائتا روبية ٢٠٠/٠٠
ثمن النسخة : ٢٠/ روبية

● في العالم العربي و في جميع دول العالم :
٢٥/ دولاراً بالبريد العادي
و ٤٠/ دولاراً بالبريد الجوي

☆☆☆

عنوان المراسلات

ترسل الاشتراكات بالشيك :
باسم : "البعث الإسلامي"
(ALBAAS-EL-ISLAMI)

☆☆☆

وذلك بالعنوان التالي

مكتب البعث الإسلامي
(مؤسسة الصحافة والنشر)
ندوة العلماء ،
ص.ب ٩٣ لكناؤ (الهند)
ALBAAS-EL-ISLAMI
C/o. NADWATUL-ULAMA
P.O. Box : 93, LUCKNOW (U.P.)
Pin : 226 007 (INDIA)

☆☆☆

المجلة غير ملتزمة بكل فكر ينشر فيها

محتويات العدد

■ **الافتتاحية :**

صليبيات جديدة في عصر العلم والانفتاح ! — سعيد الأعظمي الندوي — ٣

■ **التوجيه الإسلامي :**

فمن يُرد الله أن يَهْدِيَهُ — د/محمد بن سعد الشويعر — ٩

العولمة ومشروعاتها ما لها وما عليها — الأستاذ خورشيد أشرف إقبال الندوي — ١٤

■ **الدعوة الإسلامية :**

دعوة الإسلام للتعبير عن الرأي — الأستاذ أشرف شعبان أبو أحمد — ٢٥

العالم الإسلامي قبل الصحوة وبعدها — الأستاذ يحيى النعماني الندوي — ٣٤

■ **الفقه الإسلامي :**

قضية الزواج مع الكتابيات في منظور الشرع الإسلامي — الأستاذ محمد أسجد القاسمي الندوي — ٤٤

■ **دراسات وأبحاث :**

موقف الإسلام من الشعر — الأستاذ محمد نعمة الله محمد إدريس الندوي — ٥٠

■ **الأدب والأدباء :**

الشاعر الكويتي : خليفة الوقيان — د/محمد إقبال حسين الندوي — ٦٤

تصوير الغرائز الجنسية في قصة نجيب محفوظ — د/محمد نجم الحق الندوي — ٧٦

■ **صور وأوضاع :**

التصور الجديد للحرية والتعاطف — الأستاذ واضح رشيد الحسني الندوي — ٨٩

■ **جولة في مدارس الهند الإسلامية :**

في ولاية "جارخند" — قلم التحرير — ٩٤

■ **من الإصدارات الحديثة :**

كتاب الزهد الكبير للإمام المحدث أحمد بن الحسين البيهقي — قلم التحرير — ٩٦

"الدعوة الإسلامية في الحقل الطلابي في لبنان" المطلوب الاهتمام .. — ٩٧

■ **إلى رحمة الله تعالى :**

الحافظ محمد أفضل النجراني في ذمة الله تعالى — قلم التحرير — ٩٨

الحافظ حشمة الله في ذمة الله تعالى — .... — ٩٩

رحيل الأخ العزيز الحاج محمد أشفاق سيليه إلى رحمة الله تعالى — .... — ١٠٠

....

الافتتاحية :

بسم الله الرحمن الرحيم

صليبيات جديدة في عصر العلم والانفتاح !

إن الحروب الصليبية التي فرضت على الأمة الإسلامية في العالم الإسلامي في القرن الخامس الهجري ؛ إنما كانت نتيجة تخطيط طويل وتدبير عميق للقضاء على الشخصية الإسلامية التي تتميز بها الأمة فكانت محاولة جادة لقطع صلتها عن منصب القيادة التي أكرمت بها من لدن حكيم خبير ، ذاك أن بقاء أمة الإسلام على صفتها المتميزة ، وترويج الحضارة الإسلامية كان خطراً يهدد كيان أوربا التي كانت مدينة بعطاء الإسلام في جميع مجالات الحياة منذ أن أيقظها المسلمون من سبات الغفلة في الأندلس ، وأخرجوها من قانون الغابة إلى حضارة الإسلام . لقد درس أولياء الحضارات المادية يوم ذاك شريعة الإسلام والتوجيهات الحضارية التي تمهد الطريق نحو القيادة العالمية ، فخافوا على مستقبلهم . بل على وجودهم كشعب ممتاز ، وقد كان الفتح الإسلامي للأندلس ، وإقامة المسلمين فيها كحكام موجهين ، وقادة موفقين ، مبعث خوف راود النفوس ، فأرادوا سد هذا الباب للأبد ، وذلك بشنّ حروب على العالم الإسلامي ، وقمع روحه الحضاري والمعنوي الذي منحه زمام القيادة العالمية بجدارة ، لكيلا تتكرر قصة الأندلس الإسلامية في تاريخ أوربا ، ولا يتجرأ المسلمون على دوس الأراضي الأوربية في المستقبل .

ذلك هو الحقد الشديد على الإسلام والمسلمين الذي دفع أوربا

النصرانية على الانتقام من الدول الإسلامية والاستيلاء عليها بصورة شاملة . وتحويلها إلى مركز للنصرانية الموتورة على دين الإسلام ، مع تحديد ركن ضيق لممارسة بعض الطقوس والتقاليد باسم الإسلام ؛ وتحقيقاً لهذا الغرض الدنيئ زحفت أوربا بكامل قواتها وعدتها إلى بلاد الشام ، ودخل الغزاة الصليبيون من المدن الشامية والفلسطينية ، واستولوا على بيت المقدس بعد عامين من دخولهم واحتلوا مساحة كبيرة واسعة من فلسطين والمدن الساحلية ، التي ظلت مستعمرة أوربية إلى مدة قرن تقريباً ، وقد عبثوا خلال هذه المدة بعزة المسلمين وكرامة المقدسات الإسلامية ، وبذلوا جهوداً ضخمةً لنفي الإسلام . ومحو اثاره من الأراضي المقدسة أولاً ، والغزو على الأفكار والعقول ثانيا ، وقد كانت مركزة على تنفيذ ما أرادوه من إذهاب ريح الإسلام ، واقتلاع جذوره من كل ما يمت إلى الدين بصلة ، ولو لا أن الله سبحانه كان قد تكفل بإكمال هذا الدين . وتثبيت دعائمه في الحياة والمجتمع لكانت الدلائل كلها تشير إلى نجاح المخططات الصليبية في العالم الإسلامي ، وقد قيض الله تعالى لمواجهة الزحف الصليبي ، ومقاومة الغزاة الصليبيين ، الملك عماد الدين ونور الدين . وفي الأخير الملك الناصر السلطان صلاح الدين الأيوبي . أولئك الإبطال الغيارى المجاهدون الذين دحروا الفتنة الصليبية وطردوا هؤلاء الغزاة المستعمرين من الأراضي المقدسة ، ملوكاً وأمراءً وجيوشاً . أذلاء خاسئين .

ولكن الحروب الصليبية لم تخمد نارها وظلت شرارتها كامنة تحت الرماد ، تترقب الفرص المناسبة لكي تشرئب الفتنة عنقها حيناً لآخر ، فجاءت فتنة التتار ، وكأنها هي القاضية على روح الإسلام وجميع وسائل الفكر والدعوة إليه ، وهي قصة ذات دلالات عميقة ليس هذا محلها ، ولم تنته الفتنة بعدها ، وإنما ظلت تختمر داخل النوايا ، وتتربص الأوقات

المناسبة حتى جاء دور الاستعمار والاحتلال كعنصر أساسي لمشروع تشويه الحضارة الإسلامية وتخدير العقول ، وتأكيد أن الإسلام لم يعد له مستقبل في التاريخ القادم ، وأن الأمة المسلمة لا تملك رصيداً من القيادة ، وهي أفقر أمة تعيش الخواء الروحي ، والأدواء الخلقية ، وهي بمعزل عن جميع المؤهلات التي تؤهلها للبقاء فضلاً عن قيادة النوع البشري ، فكانت الصليبية تنمو وتزدهر من وراء الستار ، ترويها العقول المريضة ، وقد نالت قوة وتأييداً من اليهودية العالمية فتضاعف خطرها ، وتفاقم أمرها وتكاملت عدتها لإخراج هيبة الإسلام من النفوس ، وتدمير المعنوية من حياة المسلمين ، وذلك باستخدام الحكمة في إعداد عقول مريضة من المجتمع الإسلامي ، تتعاون معها في هدم الحضارة ، وتفنيد الشريعة الإسلامية ، والقضاء على ميزة الحياة الإسلامية بإزاء الحضارات الإنسانية المادية التي هي من صناعة اليهود والنصارى .

ورغماً من جميع هذه المحاولات الرخيصة التي بذلتها النصرانية بتعاون من اليهودية ضد الإسلام والمسلمين ، برزت صحوة إسلامية قوية في بلاد الغرب بوجه خاص ، وارتفعت نسبة الاعتناق بالإسلام بشكل مدهش ، ففي ظرف مدة قليلة اتخذت حركة الدخول في الإسلام صوراً مثيرةً كأنها سيل لا يتوقف إلا بسد عظيم من الحواجز والتهديدات ، فكان لابد من إنجاز هذا المشروع مهما كلف ذلك من النفس والمال ، ومن ثم جاءت حوادث ١١/سبتمبر ٢٠٠١م تبريراً لاستخدام جميع الوسائل الممكنة من الاتهامات الباطلة والتزويرات المصطنعة ، والاكتشافات المدهشة ضد الأمة المسلمة ، حول ما يتعلق بهاتيك الأحداث التي دبرتها العقول المريضة و وجهتها نحو الحركات والجماعات الإسلامية ، والشخصيات البارزة ، وكنقمة فقط جاء الغزو الصليبي الجديد ، كما أعلن عن ذلك في حينه "فخامة" الرئيس الأمريكي ، وهدد العالم

الإسلامي كله بالحروب الصليبية الجديدة التي سيبدأها هو بالاحتلال غير الشرعي بلاد الأفغان وتدمير الطالبان، وتوقيف النشاط من كل نوع، وقد حدث ما شاهده العالم كله من خلال أجهزة الإعلام، من الإهانة والتذليل، والقمع والدمار بالقذائف والقنابل السامة والهجمات الجوية المستمرة التي قتلت المدنيين الأبرياء والسكان الآمنين بغاية من القسوة والذل والإهانة، واستمر ذلك إلى مدة لا تزال قائمة، وكان الظن الغالب لدى المشرفين والمدبرين لهذه الحروب الصليبية الجديدة أن أهدافهم التي تبنوها ضد هذا البلد المسلم وسكانه المسلمين ستتحقق عما قريب، إلا أن الأمر الواقع كان على عكس ما توقعوه، فقد تحمل القوم كل نذالة و دناءة تظاهر بها أولئك المخدوعون، فانتعشوا من تحت الرماد كجمرة تحرق كل شئ، من دولة مرتزقة، وخونة ممن باعوا الضمائر، وعملاء منصوبين لتنفيذ الجرائم الشنيعة والعقابات الوحشية في المجتمع الأفغاني المسلم، وقد أعدوا من آلات التعذيب للذين لا يقبلون الردة عن الإسلام، والمقت الشديد لأهله وإعلان ذلك بكل جهارة وصراحة، وحيناً آخر صنعوا إغراءات من الجنس والمال، ولكن ذلك لم يغن عنهم شيئاً، وما زال الوضع قائماً على ذلك حتى اليوم، وهم لا يجدون سبيلاً إلى حسر مدّ الإسلام، وإخراج هيبته من القلوب والنفوس: ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ * وَاللهُ مُتِمُّ نُورِهِ * وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾.

أما الغزو العراقي الذي جاء عقب الإخفاق في أفغانستان، وتمثل فيه الحنق والغيظ إلى آخر المدى، فكان أشد ما يمكن أن يتصور، ولم يقبل الشعب المسلم العراقي أي تنازل إلى الآن عن دينه وأخلاقه وعن حضارته الأصيلة بالرغم مما بذله العدو من قوة ومن مال وإغراءات مقابل تنازل الشعب المسلم العراقي عن تاريخه الحضاري المشرق، ولكن ذهب كل جهد سُدىً، بل ولم يتخل الشعب عن المقاومة ما استطاع إليها سبيلاً،

وتظاهر بصُموده في وجه الحديد والنار، وضد جميع آليات الحرب والضرب، وهنالك أطلق العدو اللدود سهمه الأخير، وأمر بإلقاء القبض على "المتمردين" وزجهم في السجون، وتعذيبهم فيها بأقصى ما يمكن من أنواع الظلم والقسوة والإجاعة والتعرية من الملابس، وإجبارهم على الفعل القبيح، وكل ذلك إهانة بالمسلم، وتنديداً بدين الإسلام والسخرية من شريعته، يقال: إن زبانية السجن كانوا مأمورين بخلع ملابس الأسرى والأسيرات من المسلمين، وسوقهم كالوحوش بالسياط، وأحياناً بربط أعناقهم بالحبال، وإجبارهم على المشي على الأرض كالدواب، ثم إيقافهم في صفين، صف للرجال العراة، وآخر للفتيات العاريات، والأمر بأن ينظر بعضهم إلى عورة البعض، وهنالك ترتفع موجة من الضحك الساخن الذي تملأ أشداق المتفرجين على هذه المناظر الشنيعة، ويقولون: هذا هو الإسلام فلما ذا خذلكم، ولم ينصركم، أو كانوا يجاعون أياماً ولياليَ، فلما اشتد بهم الجوع يُرمى بعض أغذية من الطعام في مقعدة المرحاض (COMMODE) فكانوا يتهافتون عليها، ويتناولون من ذلك الطعام الممزوج بالبول والبراز، فيسخرون منهم، وبغاية من الإهانة والتذليل، يقولون: هذا هو طعام الإسلام، ولم تعد قصة سجون "أبو غريب" سراً على العالم بصور ملعونة من التعذيب والإهانة والتنديد والسخرية، وإطلاق الكلاب الضواري على العراة من الرجال والنساء، إذا ظهر من أحد منهم امتعاض أو إنكار.

وما يجري في فلسطين من مجازر صهيونية على أوسع نطاق من إهانات وسخريات وقتل وقمع وتدمير وتعذيب وتشريد، إنما هو فوق التصور، وليس الغرض من كل ذلك إلا كبت العواطف الإيمانية، وقتل الروح الديني، واقتلاع جذور الثوابت العقدية من القلوب، وقد أثبتت التجارب التي أجروها آلاف المرات في هذا المجال أن الإيمان إذا تغلغل في

القلوب، فإنه يأبى إلا أن يوسع نطاقه، وينور آفاق النفس، ويعمل عمله في توجيه الحياة والمجتمع إلى الاتصال بالملكوت الأعلى الدائم، والثقة الكاملة بما وعد الله سبحانه عباده المؤمنين، من الاستخلاف في الأرض، والتمكين وتبديل الخوف أمناً وسلاماً إذا صحت منهم العبادة، وعاشوا في عقيدة التوحيد، معرضين عن كل شرك و وثنية وركون إلى القوى المادية: ﴿ وَعَدَ اللهُ الَّذِيْنَ آمَنُوْا مِنْكُمْ * وَعَمِلُوْا الصَّالِحَاتِ * لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ * كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِهِمْ * وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِيْنَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ * وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِّنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً * يَعْبُدُوْنَنِي * لاَ يُشْرِكُوْنَ بِي شَيْئاً ﴾.

فكلما توسع نطاق الصحوة والدخول في دين الله واعتناق الإسلام في الغرب نفسه، ظهرت صليبيات جديدة في صور وأشكال جذابة شتّى يتعرض لها المسلمون في كل مكان، والعالم الإسلامي بوجه أخص، وهي لا تستهدف إلا تسخير جميع الوسائل والطاقات للقضاء على الإسلام وأتباعه، وفرض الأفكار الزائفة والحضارات البائدة، و الأنظمة الموبوءة على جميع المجتمعات الإنسانية، وبلدان العالم الإسلامي، شفاء للغيظ وإطفاء لنار الانتقام من الأمة الإسلامية ذات القيادة العالمية والوصاية على النوع البشري، والتي تمثل الوسطية المتزنة الدقيقة في كل زمان ومكان، وفي كل جيل وأمة.

﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِّتَكُوْنُوْا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ * وَيَكُوْنَ الرَّسُوْلُ عَلَيْكُمْ شَهِيْداً ﴾.

ولكن الله سبحانه أشار إلى طبيعة العناد والهيمنة التي تتجلى اليوم بوضوح في اليهود والنصارى؛ فقال: ﴿ وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُوْدُ وَالنَّصَارَى * حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾. وصدق الله العظيم.

سعيد الاعظمي

١٤٢٥/٤/١٢هـ

فَمَنْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يَهْدِيَهُ

بقلم: الدكتور محمد
ابن سعد الشويعر
(رئيس تحرير المجلة)
(المعهد العالي للدعوة الإسلامية - الرياض)

هذا العنوان جزء من آية كريمة، من سورة الأنعام، تبيّن أن الهداية لنور الإسلام نعمة من الله، يهبها لمن يشاء من عباده، يقول سبحانه في الآية/-١٢٥ من هذه السورة: ﴿ فَمَنْ يُّرِدِ اللهُ أَنْ يَّهْدِيَهُ * يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ * وَمَنْ يُّرِدْ أَنْ يُّضِلَّهُ * يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً * كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ ﴾.

فلا يجب على المسلمين أن يتبرّموا من الأحداث التي تدور، بل عليهم أن يستمدّوا منها طاقة، تمدّهم بالصبر والثبات وتفقد الأحوال، فالمحن كثيرة، والمشكلات الموجهة للمسلمين والشبهات كثيرة و متنوّعة، فلعلّ في مجريات الأمور، درساً يربط كل مسلم بدينه ليحاسب نفسه، ويبحث عن الأفضل، وكل مجموعة مسلمة تدقق في الخلل، الذي جعل أعداء الإسلام يتجرأون بشجاعة في مهاجمة الإسلام، و النيل من تشريعاته.

وإذ كان رسول الله ﷺ قد قال: "نصرت بالرّعب مسيرة شهر"، فإن الخلل قد يكون من القصور في فهم الإسلام، تطبيقاً وتشريعاً، لأن المهابة لا تنتزع من قلوب الأعداء، إلا من نقص الإيمان في القلوب، ولذا كان الإيمان محله القلب، وتصديقه الجوارح بالأعمال، كما عرّفه علماء الإسلام، كما أنّ حِرْصَ رسول الله ﷺ على كيان الإسلام بألاّ يتقوّض بتحميل المسئولية كل فرد، حتى لا يكون نافذة يدخل منها الأعداء، بقوله الكريم: "كل منكم على ثغر من ثغور الإسلام، فالله الله أن يؤتى

الإسلام من قبله" ، إنها مسئولية هذا الدين الكبيرة ، الملقاة على عاتق كل ، واحد يجب عدم التهاون بها .

فقد يطمئن قلب من امتنع بالإسلام ، ليجعل الله على يديه ، ومن سيرته خيراً للإسلام وتعريفاً به ، فقصة اليهوديّ : مخيريق الذي انتقد قومه يهود المدينة ، عند ما ساعدوا المشركين ضد رسول الله ﷺ ، فلم يسع مخيريق إلاّ أن يتقلّد سلاحه ، ويقاتل إلى جوار رسول الله ، ولم يكن ﷺ يذكره إلاّ ويقول : "مخيريق خير يهود" حيث مات مقتولاً مع رسول الله . وهكذا يسار ابنه في حروب الشام عند فتحها الإسلامي . فكان ابن مخيريق يقاتل مع الروم . ولمّا أخبرته أمه بما عمل أبوه مع جيش رسول الله ﷺ ضد المشركين ، ما كان منه إلا بيّت أمراً لم يخبر أحداً به ، وبعد أيام : إذا بطارق يطرق الباب ، فإذا هو يسأل : عن أرملة مخيريق بعد فتح دمشق ، ثم يقول لها : ابشري يا أمة الله ، لقد فاز ابنك بالشهادتين . إنها قصة أخذت بمجامع القلوب . وخاصة من أراد الله بهم خيرا . واهتدوا لدين الإسلام . حيث فازوا بسعادة الدنيا . وفوز الآخرة .

وقصة إسلام من نتحدث عنه ، كان يهودياً ، ولسانه عربي ، وأخذت هذه الحكاية بفصليها بسويداء قلبه ، فتحرّكتْ فطرته . بعد أن تأمّلها جيداً ، وتمعّن أبعادها ؛ فقال : هذا وأمثاله من أخبار المسلمين ، كان يطرق قلبي طرقاً عنيفاً . لا أجد له دافعاً ، ويطرقه كذلك شعور قويّ عنيف ، كلما استمعت إلى القرآن الكريم ، يقرؤه مقرئ حلو الصوت ، حسن الترتيل . فما ذهبت لأعزّي مسلماً مرة ، إلاّ ونسيت نفسي ، فتنتهي قراءة إثر قراءة ، وأنا مأخوذ بسحر هذا القرآن العجيب ، وما سمعت المؤذن يؤذن للصلاة ، ويرفع صوته العذب بقوله : الله أكبر ، وبأنه لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، إلا وغشى الخشوع قلبي ، ودخلت الطمأنينة نفسي ، فاستمع مسلوب الإرادة ، مأخوذاً بهذا السحر الحلال .

بل ما اطّلعت مرة من نافذة القطار أو السيارة ، فرأيت في طريقي

تلك المصليات الصغيرة على حوافي الترع ، يقوم الرجل أو الرجلان فيها للصلاة تاركين أعمالهم ، في بساطة لا تبلغها بساطة ، وفي خشوع لا يدانيه خشوع . إلاّ وخشعت مع هذا الخشوع نفسي ، وإلاّ هفا قلبي إلى مثل موقفه هذا ، أريد أن اتّصل بربي من هذا الطريق الحلو السهل ، الذي لا تحوطه مظاهر ولا تغشاه صنعة .

ونظرت في أصول هذا الدين ، واتّصلت بالشريعة وأحكامها ، فهويت دراستها ، ورحت أبحث في كتبها فاستهوني في هذا النظام العجيب ، الذي قام على أساس القرآن وحده . فرسخت أصوله . وعلت فروعه ، باسقة تزري بذلك النظام الروماني الذي شيّد عليه الغرب شرائعه ، فزدت للقرآن إكباراً ، وراح عقلي بعد قلبي يتّصل بهذا الدين الحنيف ، وينظر فيه نظر الباحث المدقّق ، نظرت أول ما نظرت في العقيدة الأصلية التي يقوم عليها البناء كلّه ، فإذا هي العقيدة الأزليّة التي قامت على أساسها عقيدة أبي الأنبياء إبراهيم . ومن بعده : إسحاق ويعقوب ويوسف ، ثم موسى مؤسس الموسوية الأولى ، عقيدة التوحيد المحض ، الخالصة من الشوائب ، المتّصلة بالله اتصالاً مباشراً ، لا تعوقه واسطة ولا شكل ، المتجرّدة إلا من الشعور العميق ، بعظمة الخالق ، وجمال الخلق .

ثم نظرت في رسالة هذا الرجل العجيب من نسل ابراهيم ، الذي لم تؤهله للرسالة ثقافة ولا علم ولا دين ، بل أُصْطُفي في بقعة قحلاء جرداء بعيدة عن العمران ، فنشأ كما ينشأ الناس . وعاش عيشتهم ، وحيي حياتهم ، ثم إذا به وقد أوحى إليه من حيث لا يعلم ، ولا يعلم أحد بهذا الكتاب العجيب ، الآتي من وراء الحجب ، والمليء بأخبار الأولين ، مصفّاة نقيّة من الشوائب ، التي راكمها ألوف السنين على الأصل الطيب . طبقةً فوق طبقة ، ولوناً فوق لون .

فإذا الأصل جميل باهر السناء ، من أين جاء هذا كلّه ، إلاّ من لدن الله . وبرسالة من الله إلى رجل اصطفاه الله ليكون نبيّ الإنسانية عامة ؛ وبلا

استثناء ؟! ثم تساءلت : أليس لهذا الأمر آية ؛ أو عليه علامة ؟ نظرت واطّلعت في النظر . وفكرت وأطلت التفكير ، فإذا بالآية قائمة ، وإذا بالعلامة ظاهرة ، إنها البساطة التي ليس وراءها بساطة ، البساطة الخالية من الصنعة ، يصفها الله سبحانه ؛ فيحسن وصفها ، إذ يوحى إلى رسوله أن يقول : ﴿ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ * يُوحَى إِلَيَّ ﴾ (الكهف/١١٠) .

هذه ومضات مما تحدث به المحامي : زكي عريبي ، وهو يعلن إسلامه بعد دراسة طويلة ، ليرد على بعض ألسنة السوء التي قالت : لماذا إذن لم يعلن الرجل إسلامه منذ قديم ؟ ولماذا أعلنه الآن ، إن ثمة سبباً خفياً ، أو باعثاً قوياً قد حمله الآن على فعل ما فعل . لقد رهب الرجل أو رغب ، خاف أو طمع ، إنها صناعة أو تجارة إلى آخر .. قالوا .

فرد على تلك الأقاويل ، مثبتاً نيته في الإسلام ، وهكذا يكون الصادقون المخلصون ، فيقول : وإني لأشهد الله ، ثم أشهدكم أن الأمر تجارة ، ولكنها تجارة من نوع معيّن ، هل تحبون أن تعرفوا سرّها وماهيتها ؟

إنها التجارة التي يقول فيها عنها الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوْا ! هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ * تُنْجِيْكُمْ مِّنْ عَذَابٍ أَلِيْمٍ * تُؤْمِنُوْنَ بِاللهِ وَرَسُوْلِهِ ﴾ (الصف/١٠-١١) ، واخق أقول لكم : لقد راودتني نفسي في إعلان إسلامي منذ سنين . وأسررت بذلك إلى بعض أصدقائي ، فأشاروا إليّ بعد مناقشة بأن أرجئ هذا وقتاً ما ، ثم جاء الموعد الذي أراده الله وتمّ الإعلان . بعد أن كبرت وخفت من مفاجأة الأجل .

وإني أيها الأخوة لأحب لكم أن تؤمنوا ، لا بما توارثتموه ، بل بهذا الذي شعرت وأحسست به ، وبهذا الذي خبرت وعاينت ، وبهذا الذي نظرت فيه طويلاً وفكرت ، واقتنعت ، وحاشا لله أن أقول إن إسلامي فوق إسلامكم ، ولكن من الخير لكل منكم أن يمرّ بما مررت به أو بعضه فتذوقوا حلاوة الإيمان .

● حكاية ونادرة :

جاء في كتاب مقالات الأدباء ، ومناظرات النجباء ، لعلي بن هذيل : حكاية ونادرة .. أما الحكاية فهي : قال خالد بن الوليد لأهل الحيرة : أخرجوا لي رجلاً من عقلائكم ، فأخرجوا له عبد المسيح بن قيس الغسّاني ، وهو الذي بنى القصر ، فقال له خالد : من أين أقصى أثرك ؟ قال : من صلب أبي ، قال : فمن أين خرجت ؟ قال : من بطن أمي ، قال : فعلى ما أنت ؟ قال : على الأرض ، قال : ففيم أنت ؟ قال : في ثيابي ، قال : ما سنّك ؟ قال : عظم ، قال : أتعقل ؟ قال : نعم ، وأقيّد ، قال : ابن كم أنت ؟ قال : ابن رجل واحد ، قال : ما تزيد في مسألتك إلا عمى ، قال : ما أحببتك إلا عن مسألتك ؟ قال : أعرب أنتم أم نبط ؟ قال : عرب استنبطنا ، أو نبط استعربنا ، قال : حرب أنتم أم سلم ؟ قال : بل سلم ، قال : فما بال هذه الحصون ؟ قال : بنيناها للسّفيه ، حتى يأتي الحليم فينهاه (ص/١٧٨) .

وأما النادرة فهي : اشتكى ابن شماس بالكوفة ، فدخل عليه بعض الأطباء ، فقال له : ما اسمك ؟ احفظوا البول ، إلى غدٍ ، حتى انظر إليه ، وأشير عليك بما يتبيّن لي منه ، ومضى عنه .

فلما كان من غدٍ عَدَا إليه ، فرآه في كرب عظيم ، مما قد امتنع من البول ، و قد كادت مثانته تنشقّ ، فسأله عن حاله ، و طلب منه الماء فعرّفه ما فعل .

فقال : إنا لله أضررت بنفسك ، وزدت في علّتك . إنما أمرتك أن تمسك ماءك في زجاجة كما يفعل الناس .

وأما علّتك ، فإنك سوف تفيق منها إن شاء الله تعالى ، وإنما أخشى عليك الموت من الحمق لا غير ، كما يقال في المثل : من لم يعرف الشرّ ، كان أجدر أن يقع فيه (ص/١٨٣) .

***

العولمة ومشروعاتها ما لها وما عليها

بقلم :
الأستاذ خورشيد أشرف إقبال الندوي
(باحث في مرحلة الدكتوراه – بجامعة القاهرة)

العولمة مصطلح جديد ظهر في العالم الغربي في بداية عقد التسعينات ، وإن كان البعض يرى أن جذورها التاريخية ترجع إلى زمن بعيد ، حيث يعدونها امتداداً شرعياً للحداثة (١) .

وقيل : إنها مرحلة ما بعد الحداثة ، وذلك لأن العولمة لها سمات مختلفة عن الحداثة ، فالحداثة حافظت على الحدود الجغرافية للدول ، أما العولمة فإنها تخطت الحدود الجغرافية فلا يمكن إلحاقها بالحداثة (٢).

وبرغم ما قيل عن العولمة في الصحف والمجلات ، وما عقد عنها من مؤتمرات وندوات ، إلا أن مفهومها ما زال غريباً ، وذلك لأن العولمة متعددة الجوانب ، فهي كالأخطبوط الذي يمتد أذرعه في كل مجال . كما أن لها جوانب واضحة المعالم وجوانب أخرى غامضة .

- **مفهوم العولمة :**

إن صياغة تعريف جامع مانع للعولمة تبدو مسألة شاقة نظراً لتعدد تعريفاتها في العالم اليوم ، فالعولمة يعرفها البعض بأنها ترجمة لكلمة : (GLOBALIZATION) ، مشتقة من كلمة : (GLOBE) أي الكرة الأرضية ، وهو مصطلح لاتيني يدل على مشروع لمركزة العالم في حضارة واحدة (٣) .

ويرى تعريف آخر: "أن العولمة في الحقيقة نظام عالمي جديد" ، له أدواته و وسائله وعناصره ، وميكانزماته .. وُلدت عند نهايات قرن

يعج ، بمختلف التطورات والبدائل والمناهج والأساليت ، وجاءت منجزاتها حصيلة تاريخية لعصر تنوعت فيه تلك التطورات التي ازدحم بها التاريخ" (٤) .

في حين يرى البعض أنها فكرة تعبر بصورة غير مباشرة عن إرادة الهيمنة على العالم وتغريبه أو أمركته ، مستغلة مظاهر وآليات التطور الحضاري الذي يشهده العصر الحديث .

ولذا نجد الدكتور صادق العظم يعرف العولمة بقوله : "حقبة التحول الرأسمالي العميق للإنسانية جمعاء في ظل هيمنة دول المركز و قيادتها ، وتحت سيطرتها أو في سيادة نظام عالمي للتبادل غير المتكافئ ، فالعولمة باختصار هي تسليع كل شئ بصورة أو بأخرى" (٥) ، ولفظ "تسليع" هنا يعني : التحول إلى السلع .

وإلى الرأي ذاته يذهب باحث آخر ؛ فيصف العولمة "بأنها نوع جديد من الاستعمار متخذاً شعارات براقة ، وتكنولوجيا تفوق العقل ، ولكنه استعمار يريد اغتصاب المكان والزمان والتاريخ والهوية والمصير" (٦) .

وفي المقابل يرى بعض آخر أن العولمة هي اتجاه فطري للإنسان يتسارع أثره مع تطور آليات الاتصال بين المجتمعات ، وتركيز الصناعات ، وتجاوز المجتمع التقليدي ، وأنها مظهر من مظاهر التطور الطبيعي الحضاري المعاصر ، وأن المجتمعات الأكثر حضارة تفيض على المجتمعات الأقل حضارة بشكل تلقائي عبر قنوات تصل بين المنبع والمصب ، فهو نظام رأسمالي أكثر تكاملاً ، وليس رسملة للعالم بالمفهوم الغربي أو الأمريكي .

وهو ما عبر عنه "أوليفيه دولفوس" بقوله : "العولمة تبادل شامل بين مختلف أطراف الكون ، يتحول العالم على أساسه إلى محطة

تفاعلية للإنسانية بأكملها، وهي نموذج للقرية الصغيرة الكونية التي تربط بين الناس والأماكن ؛ فتلغى المسافات . وتقدم المعارف دون قيد . وهي ليست وليدة الرأسمالية الغربية ، وإنها تقتات الاقتصاد والسياسة ، وتتجاوز النظم والأيديولوجيات ، وتعتبر تشكيلة متنوعة من الأنظمة والبنى ، تحدد ممثليها الدول الكبرى والشركات متعددة الجنسيات والمنظمات العالمية" (٧) .

يتبين مما سبق أن العولمة هي مفهوم مجرد مركب ، يعني الكثير ويختلف معناها لدى الكثير ، حيث إنها تتنوع على مختلف الاتجاهات ، ولا تختص بجانب آحادي فقط ، بل تتغلغل في كل مفاصل الحياة سواء كانت سياسية أم اقتصادية أم ثقافية أم اجتماعية .

كما أنها تشمل ضمن ما تشتمل عليه عولمة المعاملات المالية والتجارية والبيئية والفلسفية ، وكذلك تشمل الموضات والرياضات على اختلاف أنواعها .

إلا أنه ينبغي التنويه هنا إلى أن العولمة لم تزل مصطلحا ومضموناً في طور من الغرابة ، ولم تعرف الاستقرار بعد .

- **مشروعات العولمة :**

للعولمة مشروعات عديدة في مختلف مجالات الحياة ، التي تشكل شبكة العلاقات الدولية المعاصرة ، وأهم هذه المجالات :

= المجال الاقتصادي :

أكثر ما يتبادر إلى الذهن عند الحديث عن العولمة هو العولمة الاقتصادية ، لأنها أوضح تجليات العولمة وأكثرها ظهوراً واكتمالاً في الوقت الحالي .

إن هدف العولمة الاقتصادي هو تحويل العالم إلى عالم يهتم بالإنتاج والاستهلاك ، أكثر من اهتمامه بأي أمر حياتي اخر ، ولهذا

ترتكز على فكرة حرية السوق وإزالة العوائق أمام حركة رأس المال . وتدعو إلى إطلاق حرية الاقتصاد والتجارة والأسواق .

وإذا كانت هذه الأشياء تعتبر إصلاحاً وتطوراً في قوانين الاقتصاد والصناعة والتجارة ، إلا أن لها انعكاسات سلبية جمة ، لأن أعمال اتفاقية التجارة الدولية وتحرير وسائل الإنتاج ، وفتح الأسواق أمام منتجات عالمية ، ستؤدي إلى تركيز شديد للثروة على المستوى الداخلي ، وتحدث طفرة كبيرة في التوزيعات الاجتماعية في الدول النامية ، بالإضافة إلى تأثيره الشديد على المستوى الدولي ، حيث تصبح الدول الفقيرة أكثر فقراً ، والدول الغنية أكثر غنىً .

وبدا هذا واضحاً جلياً في مؤتمرات المنظمات العالمية كمنظمة التجارة العالمية ، وصندوق النقد والبنك الدوليين ، فهذه المنظمات الثلاث أصبحت تشكل ثالوثاً خطيراً ، يمكن أن تضيق الخناق على الدول الفقيرة ؛ حتى تجعلها في تبعية شبه كاملة للغرب ، ومؤسساته وشركاته (٨) .

= المجال الثقافي :

تعد العولمة الثقافية أقل تجليات العولمة وضوحاً ، رغم أنها أخطرها على الإطلاق ، وذلك لأن الثقافة هي مجموعة من قيم وموروثات ، وعادات وتقاليد ، وأرض وتاريخ ، وجغرافية لمجموعة من الناس ، ومن هذه الأشياء تتكون حضارة الأمة وهويتها وخصوصيتها التي تعتز بها وتميزها عن غيرها من الأمم .

وعلى اختلاف هذه الثقافات والاتجاهات في مختلف بقاع الأرض ، لا يمكن أن تأتي ثقافة من الخارج ، وتمحو تراثها القديم ، وتجمع البشرية كلها مكانية وزمانية لنمط حياتي موحد ، وثقافة عالمية موحدة .

إلا أننا نرى أنه من أهداف العولمة الثقافية ؛ هي إدخال أذواق وقيم جديدة على خصوصية الأمم ، فتتحول الخصوصية الثقافية للأمة من خاصة إلى عامة ، ومن إقليمية إلى عالمية ، وهكذا تذوب الخصوصية ، والهوية المحلية في خصوصية عالمية ، تهيمن فيها الثقافة التي تملك التقنيات الحديثة والمتقدمة .

علماً بأن فكرة العولمة ليست تبادلاً ثقافياً بين المجتمعات ، وحواراً بين الحضارات ، والتي من شأنها أن تتلاقى فيها الحضارات مع الاحتفاظ بالخصوصيات ، وإنما هي هيمنة نمط حضارة واحدة بكل ما تحمله من ازدواجية في المعايير ، وتناقض في القيم ، وفوضى في الحياة الأسرية والاجتماعية (٩) .

= المجال السياسي :

إن العولمة ليست تجارة عالمية فقط وإن كانت هي من أهم أشكالها ، بل هي سيطرة المؤسسات والدول الغنية على مثيلاتها الضعيفة في بقية العالم ؛ ذلك لأن العولمة ، وإن كانت تنادى بالموضوعية والديمقراطية السياسية والثقافية إلا أنها استعمار جديد بدون جيش وحرب .

ففي ظل العولمة ومؤسساتها المتعددة الجنسيات تتقلص سيادة الدولة على حدودها ومواردها ، كما يتراجع دورها من حيث التدخل في عملية الإنتاج وحماية منتجاتها ، ومن ثم تظهر عاجزة أمام مواطنيها في الوفاء بالتزاماتها .

وإن أخطر ما في العولمة ، بالمفهوم الأمريكي أنها انتهازية ، حيث تغتنم الفرص لاقتياد العالم صوب مصالحها ، وإلى أمركته ، وذلك من خلال ما يروجونه باسم حقوق الإنسان والديمقراطية ، وحماية الأقليات عن طريق الأمم المتحدة بعد الهيمنة عليها ، وعلى

مؤسساتها السياسية المؤثرة ، خاصة مجلس الأمن الذي تعتبر قراراته ملزمةً عالمياً ، واستخدام حق النقض (الفيتو) عند الضرورة أو التلويح باستخدامه لمنع صدور أي قرار لا يريده الغرب ، وخاصة أمريكا (١٠) .

= المجال التقني :

يشهد العالم اليوم ثورة علمية هائلة ، فقد اكتشف العلماء في خلال العشر سنوات الماضية ما اكتشفته البشرية في قرون ، فهذا التطور المذهل في عالم التكنولوجيا بمختلف أنواعه مثل تكنولوجيا المعلومات والاتصالات ، الالكترونيات الدقيقة ، والفوتونات الضوئية ، والطاقة النووية ، والفضاء ، والمواد الجديدة ، والهندسة الوراثية ، وتمكن العلماء من تفكيك الجين الوراثي للكائنات الحية وما أشبهها ، جعلت الإنسانية أمام منعطف خطير ، فمن ناحية يمكن القضاء على الأمراض الخطيرة ، وفي الوقت ذاته أصبح ممكناً استنساخ إنسان بمواصفات خارقة .

فهذه التقنية سلاح ذو حدين ، فبرغم التقدم المذهل لصالح البشرية ، إلا أنها أصبحت منحرفة عن أهدافها النبيلة ، فقد أصبح الإنسان تحت سيطرتها في عبودية لا نهائية ، تستلب عقله لتكوين ملامح ثقافية ومعرفية وأيديولوجية جديدة ، لاغية الثقافات والحضارات واللغات ، ضاربة بالقيم والمبادئ والأخلاقيات .

الأمر الذي يتطلب دعم البحث العلمي والتكنولوجي على نحو يجعل التراكم الرأسمالي مرتبطاً بالتراكم الإيماني المعرفي ، وتحقيق تنمية بشرية مستمرة مفيدة .

وإذا كان الإنترنت من أهم إنجازات العصر الحديث ، وهو منبر حر دون رقيب ، وميدان فسيح دون قيود ، يستفيد منه كل من

يحسن استثماره واستغلاله .

إلا أنه أخطر ما فيه ما ينشر عبر شبكة من أفلام وإعلانات لترويج الفحش والرذائل ، التي تنادى بإباحة العلاقات الجنسية خارج إطار الأسرة ، وتقليل قيمة الزواج ، وكذلك الحرية الجنسية والشذوذ الجنسي .

وقد بلغ هذا النوع من الإعلانات والأفلام من الكثرة لدرجة أن هناك أكثر من مليون موقع على الإنترنت تتعامل مع الصور المخلة بالآداب ، تعرض العمليات الجنسية ، وتشرح طرق استعمال المخدرات ، و وسائل العنف ..

وهذا يمثل خطراً جسيماً على عقول الأجيال القادمة من الأطفال والشباب على حد سواء - الذين أصبحوا مستهدفين من قبل أعداء الإسلام ومروجي العولمة .

ولذا لابد من التصدي لهذه الظاهرة بكل قوة وجدية من قبل أولياء الأمور وأرباب الحل والعقد في المجتمع ، حتى نتمكن من القضاء عليها تماماً (١١) .

- **مواقف المفكرين والمثقفين تجاه العولمة ومشروعاتها :**

المتأمل في الجدل الدائر بين المفكرين والعلماء يدرك جيداً ما تحمله العولمة من أزمة التفتيت والتشتيت .

وقد عبر عنها أحد الباحثين بقوله : لا نمتلك الإطار المعرفي المناسب لإدراك كنه ما يحدث ، وليست لدينا أدوات الفهم المناسبة لفك وتفكيك هذه الحزمة المتشابكة من المتغيرات والعلاقات والظواهر التي أصابتنا بالدوار (١٢) .

ونظراً لهذا التشابك والحيرة حول هذا الموضوع الحيوي الذي يشغل اليوم العالم كله ، تباينت أفكار المفكرين والكتاب و وجهات نظرهم وآرائهم تجاه العولمة ومشروعاتها .

هناك فريق وقف من العولمة موقف الرافض والمتشدد في رفضها ، وبالغ في التحذير منها ومن مخاطرها ، ليس على المستوى الثقافي فحسب ، وإنما في كل المجالات الاقتصادية والسياسية والإعلامية والاجتماعية ، واعتبرها صورة متقدمة من العلمانية .

وفريق آخر مبهور بالعولمة ، يرحب بها مستبشراً فيها خيراً ، فهو يرى فيها أمل الفقراء والبؤساء لإنهاء فقرهم ، فيقبلها دون تحفظ باعتبارها لغة العصر القادم الذي يجب أن نلحق بركابه ، كما ينظر إليها على أنها الأمل المنشود ، من خلال حرية انتقال المعارف العلمية والثقافية ، وسقوط الشمولية والسلطوية والنزوع إلى الديمقراطية والتعددية السياسية ، وكذلك يعدها عملية متحررة من قيود الدولة القومية إلى أفق الإنسانية الواسع ، وليس ذلك كل ما هنالك فقط ؛ بل هي في نظره تحرر من الولاء لثقافة ضيقة ومتعصبة إقليمية إلى عالمية واسعة ، وذلك لأن العولمة تدعو في ظاهرها إلى العدالة الاجتماعية ، والحقوق الإنسانية ، والحرية السياسية ، وضم العالم وشعوبه ليكونوا أمة واحدة عالمية في التاريخ ، والزمان والمكان .

و فريق ثالث لا يرفضها و لا يقبلها ، و إنما ينتهج منهج الوسطية ، ويقف منها موقف الحذر ، ويرى أن نأخذ منها ما يتواكب مع عقائدنا وتقاليدنا وأحوالنا ، فليس كل ما في العولمة شر ، كما أنها ليست كلها خيراً ، ومن ثم هو ينقدها محاولاً فهمها ، والتعامل معها بقوانينها دون التسليم بحتميتها، ويرى الاستفادة من جوانبها الإيجابية ، وتفادى جوانبها السلبية ، بل ومقاومتها (١٣) .

وإذا قارنا بين هذه الاتجاهات الثلاثة ، وجدنا أن الاتجاه الأول لا يمكن قبوله ؛ وذلك لأن الرفض القاطع والانغلاق على الذات لا يحمينا من مخاطر العولمة وتأثيرها ، كما أن الاتجاه الثاني أيضاً لا يمكن

اختياره ؛ و ذلك لأن للعولمة مخاطر ضخمة و مفاسد جمة بجانب المميزات ، ولذا الذوبان والانصهار فيها دون قيد أو شرط سوف يؤدي إلى انهيار حضارات وثقافات ضاربة في عمق تاريخ البشرية .

أما الاتجاه الثالث ؛ فهو اتجاه نقدي عقلاني رشيد ، يحاول تفهم قوانين العولمة دون التسليم بحتمية القيم التي تجلبها ، ويعرف كيفية مواجهة هذا التحدي القائم للمحافظة على الهوية الإسلامية والثوابت العقيدية والثقافية مع معايشة العصر بفكر متفتح ورأى مستنير وسلوك رشيد .

ونحن من جانبنا نرى أن الاتجاه الثالث ؛ هو الموقف الصحيح والمعتدل ، ولذا يجب علينا أن نقف منها موقف الحذر ، ونعمل بجهد دؤوب لمحاولة فهمها ، والأخذ منها قدر ما يستوعب فكرنا وقيمنا المستقاة من كتاب الله وسنة نبيه ﷺ ؛ وذلك لأن الفكر الإسلامي لا يرفض فكرة أو نظرية يمكن أن تنفع البشرية ، وتستفيد منها ؛ حيث إن الإسلام يسمح بالتعددية الدينية والحضارية ، وخصوصية كل حضارة ، مقراً بأن هناك قواسم مشتركة بين الحضارات وليس صراعاً ولا قتالاً ، لكنه في الوقت ذاته يرفض أن تذوب حضارة ما في حضارة أخرى ، ويرفض الأفكار التي من شأنها أن تؤدي إلى هلاك قيم ومبادئ منزلة من قبل الله سبحانه وتعالى .

وكذلك يرفض الفكر الذي يقوم على نقع شرذمة قليلة من البشر ، والإضرار بباقي الناس من البسطاء والضعفاء ، فتنهب ثرواتهم ، ويغتصب تاريخهم ، وتخترق ثقافتهم .

إذن الفكر الإسلامي لا يرفض العولمة ، ولا يملك أن يرفضه كلية - خاصة من النواحي الاقتصادية - لأنها باتت واقعاً نعيش فيه ، وعلينا أن نجد السبيل للحفاظ على قيمنا وهويتنا الإسلامية ، فليس

الرفض هو الحل كما أن الانفتاح عليها والانبهار بها تغريب أو تلاشٍ لثقافة قامت على وحي سماوي .

فيجب علينا أن نحدد الخط الفاصل بين ما يجب أن نستفيد منه ، وما يجب أن نبتعد ونتحرز منه ، وما يجب أن نضيف إليه .

والأمة الإسلامية الآن في مفترق الطرق وما عليها إلا أن تقرر سلوك طريق التقدم ، واللحاق بالركب الحضاري ، تواجه همومها ومشاكلها بكل قوة وصراحة وعمل دؤوب ، أو أن تظل في سباتها العميق تنتظر العون ، فتتخلف عن الركب الحضاري .

ومما لا شك فيه أن الأمة الإسلامية تملك من المقومات ما يجعلها طرفاً مرسلاً للقيم والخير والنور والعلم أمام مادية العالم المفرطة ، وليس مجرد طرف يستقبل ويتلقى العولمة ورياحها العاتية .

الهوامش :

(١-٢) انظر: العولمة وتحديات العصر ؛ د/بثينة عمارة : ص/٢١ (دار الأمين للطباعة ، ط/١، سنة ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م) ، ندوة العرب والعولمة : في مفهوم العولمة ؛ السيد ياسين : ص/٢٩-٣٣ (مركز دراسات الوحدة العربية ، ط/١ ، سنة ١٩٩٨م) ، العولمة جذورها وفروعها وكيفية التعامل معها ؛ د/عبد الخالق : ص/٣٩-٥٩ (مجلة عالم الفكر ، المجلد/٢٨ ، العدد الثاني ، سبتمبر-أكتوبر ١٩٩٩م) ، والحداثة هي ظاهرة انطلقت من أوربا مع الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩م . وعنت التغير في النظام السياسي من الملكي إلى الديمقراطي ، واعتماد الليبرالية نظاماً اقتصادياً ، والمساواة بين الجنسين ، والانتقال من نموذج الجماعات والطوائف الدينية المتحاربة إلى المواطنة ، وتذويب الطوائف والأديان في بوتقة مدنية علمانية واحدة ، انظر ثقافة العولمة وعولمة الثقافة ؛ د/برهان غليون ، و د/سمير أمين : ص/٢٣٠ (دار الفكر بسوريا ، سنة ٢٠٠٠م) .

(٣) ظاهرة العولمة ، رؤية نقدية ؛ د/بركات مراد : ص/٩٠ ، كتاب الأمة يصدر عن وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بدولة قطر ، العدد/٨٦ ، ذو القعدة ١٤٢٢هـ .

(٤) العولمة والمستقبل ؛ سيار الجميل : ص/٧٧-٧٨ (الأهلية للنشر والتوزيع ،

ط/١٠ ، سنة ٢٠٠٠م) .

(٥) ما العولمة ؛ د/حسن حنفي ، د/صادق العظم : ص/١٣٦ (دار الفكر . ط/٢ ، سنة ٢٠٠٠م بيروت) .

(٦) العولمة والأمة "البدون" ؛ د/محمد جبريل (خبير في شئون التدريب ، جريدة الأهرام ٢٠٠٠/٤/٧م) .

(٧) ظاهرة العولمة ، رؤية نقدية ؛ د/بركات مراد : ص/٩٦ ، مرجع سابق .

(٨) انظر في هذا : أ- العرب والعولمة : شجون الحاضر وغموض المستقبل ؛ د/محمد حوات (مكتبة مدبولي) ، ب- عولمة القهر ؛ د/جلال أمين (دار الشروق) ، ج- العولمة وتحديات العصر ؛ د/بثينة عمارة - مرجع سابق .

(٩) ينظر في هذا الموضوع : أ- العولمة والهوية الثقافية ؛ د/محمد الجابري ، من ندوة العرب والعولمة بالقاهرة ، ب- العولمة وصراع الحضارات ؛ د/جعفر إدريس ، من ندوة : العولمة تفاعل ومقاومة بلندن ، ج- العولمة والعولمة المضادة ؛ د/عبد السلام ، من ندوة : العرب والعولمة بالقاهرة .

(١٠) للتوسع في هذا الموضوع ، انظر : أ- العولمة والانعكاسات السياسية ؛ د/حسنين إبراهيم (مجلة عالم الفكر : ص/١٨٥) مرجع سابق ، ب- نعم للعولمة الموضوعية ولا للهيمنة ؛ د/السيد فليفل (جريدة الأهرام ١٩٩٩/٥/٢١م) ، ج- مواجهة عولمة القطب الواحد سلبياً ؛ د/محمد ربيع (جريدة الأهرام ٢٠٠٠/٣/٣م) ، د- مصر والعالم على أعتاب ألفية جديدة ؛ د/محمود الفضيل (مكتبة الأسرة ، سنة ٢٠٠١م) .

(١١) انظر : العرب وعصر المعلومات ؛ د/نبيل علي عالم المعرفة ، العولمة والتطور التقني ؛ أنطوان نحلان - ندوة العرب والعولمة ، الهندسة الوراثية والأخلاق ؛ ناهد البقصمي - عالم المعرفة ، الكويت ١٩٩٣م ، رقم/١٧٤ .

(١٢) العولمة والأمة ؛ د/محمد جبريل ، جريدة الأهرام ٢٠٠٠/٤/٧م مرجع سابق .

(١٣) انظر في هذا الصدد : ما العولمة ؛ د/حسن حنفي : ص/٥٧ وما بعدها ، العولمة وتحديات العصر ؛ د/بثينة عمارة : ص/٢٢ وما بعدها ، الإسلاموفوبيا ، جريدة الأهرام ٢٠٠٢/١٢/١٣م ، الثقافة العربية وعصر المعلومات ؛ د/نبيل علي : ص/٤٤٠ وما بعدها ، عالم المعرفة ، رقم/٢٧٦ ، يناير ١٩٧٨م ، من مخاطر العولمة على الهوية الثقافية ؛ د/محمد عمارة ، جريدة صوت الأزهر ، العدد/١٠٥ (٢٠٠١/٩/٢٨م) ، عولمة أم استعمار ؛ د/محمد محزون ندوة العولمة تفاعل ومقاومة ، بلندن .

دعوة الإسلام للتعبير عن الرأي

بقلم :
الأستاذ أشرف شعبان أبو أحمد
(جمهورية مصر العربية)

من القواعد التي أرسى دعائمها الإسلام حرية التفكير في كل ما يطرح على الإنسان من آراء وأفكار ، وبالتالي تقييم كل ما يرد إليه ، وله الحق في أن يأخذ بأي رأي شاء متى ارتاح إليه قلبه ، أو أن يخالفه بحرية تامة إذا رآه لا يستقيم وما يعتقد ، وتبع ذلك بالدعوة إلى التعبير عن الرأي ، وإعلان ما في ضمير الإنسان ، وقول كلمة الحق والمجاهرة بها والمثابرة على إرسائها ... (١) ، وكلمة الحق هي التي يبتغي بها وجه الله ومصلحه الدين والدنيا ، الخالصة من أي أهواء أو مصالح شخصية ؛ أو شائبة نفاق ؛ أو تملق ، ولا تحمل في ثناياها أي كيد أو خداع ؛ أو إثارة لفتن وصراعات ، ولا تحيز أو اختلاف لمجرد التحيز ؛ أو الاختلاف .

فقد جعل الإسلام قول الحق والتدخل بالنصح والتصويب ، وهما لا ينتعشان إلا في جو يسوده حرية الرأي ، جعلهما واجباً على كل مسلم ، في كل ما يعتبره الإسلام منكراً ، سواء كان يمس نظام الدولة والقائمين عليها ؛ أو يمس عامة المسلمين أفراداً وجماعات ، ففرض على كل مسلم ألا يسكت أو يغض بصره عن مرتكبي الفواحش والمنكرات ، وعن كل ما يضر بمصلحة الدولة أو الشعب ، وإن كان من جانب أصحاب النفوذ والسلطة ، بل في إقامة الحد

عليهم علانية تفضح جرمهم ، وتزجر من تسول لـه نفسه ارتكاب نفس الجرم ، فمن الأحاديث المتفق عليها والتي تحث على قول الحق : بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في العسر واليسر ، والمنشط والمكره ، وعلى أثره فينا ، وعلى أن لا ننازع الأمر أهله ، وعلى أن نقول الحق أينما كنا لا نخاف في الله لومة لائم ، وعن أبي ذر رضي الله عنه قال : أوصاني خليلي ﷺ بخصال من الخير ، أوصاني أن لا أخاف في الله لومة لائم ، وأوصاني أن أقول الحق ، وإن كان مراً (رواه ابن حبان) ... (٢) ، كما اعتبر الإسلام الساكت عن الحق شيطاناً أخرس ... (٣) ومن الأحاديث التي تحث على توجيه النصيحة ، قول الرسول الكريم ﷺ : "الدين النصيحة" ، قالوا : لمن يا رسول الله ؟ قال : "لله ورسوله ، و خاصة المسلمين وعامتهم" (رواه مسلم) ، فجعل إبداء النصيحة واجباً ، وإبداء النصيحة هو التوجيه إلى الصواب ، والنهي عن الخطأ أياً كان الذي وقع الخطأ منه حاكماً أو محكوماً ، بل شدد رسول الله ﷺ في شأن توجيه النصح للحكام لا مجرد إبداء الرأي من أجل إبداء الرأي فحسب ، فيقول عليه الصلاة والسلام : "لا والذي نفسي بيده حتى تأطروهم على الحق أطراً" (رواه أبو داؤد والترمذي) ، وروى الترمذي والحاكم عن جابر رضي الله عنه عن النبي الكريم ﷺ ، إنه قال : "سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب ، ورجل قام إلى إمام جائر ؛ فأمره ونهاه فقتله" ... (٤) ، وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي الكريم ﷺ ؛ إنه قال : "أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر" (رواه أبو داؤد والترمذي) ، وعن طارق بن شهاب البجلي رضي الله عنه أن رجلاً سأل النبي الكريم ﷺ ؛ أي الجهاد أفضل ؟ قال : "كلمة حق عند سلطان جائر" (رواه النسائي) ... (٥) .

كما أمر الإسلام أبناءه بأن لا ينعزلوا عن مشاكل إخوانهم في الدين وألا يعتكف الفرد على نفسه ، وخاصة في الأمور التي تمس العامة ، وهذا الأمر لا يستقيم للمسلم ما لم يشترك برأيه يجهر بالحق ويزهق الباطل ، قال عليه الصلاة والسلام : "من لم يهتم بأمر المسلمين ؛ فليس منهم" (رواه الحاكم والطبراني) ، فالإسلام يطلب من كل مسلم أن يكون له موقف ويكون له رأي لتمكين مجموع الأمة من القيام بأخطر مهمة تقوم عليها خيرية الأمة واستحقاقها للوجود والفلاح ، ألا وهي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، بينما تقع اللعنة على الأمة إن أهملت هذه المهمة ، قال تعالى في سورة آل عمران ، الآية/١١٠ : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ * أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ * تَأْمُرُوْنَ بِالْمَعْرُوْفِ * وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ * وَتُؤْمِنُوْنَ بِاللهِ ﴾ ، و قال تعالى : ﴿ لُعِنَ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا مِنْ بَنِيْ إِسْرَائِيْلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ * وَعِيْسَى ابْنِ مَرْيَمَ * ذٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَّكَانُوْا يَعْتَدُوْنَ * كَانُوْا لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُّنْكَرٍ فَعَلُوْهُ * لَبِئْسَ مَا كَانُوْا يَفْعَلُوْنَ ﴾ (المائدة/٧٨-٧٩) ... (٦) ، وقال عليه الصلاة والسلام : "من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان" ، وعن حذيفة رضي الله عنه عن النبي الكريم ﷺ قال : "والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ، ولتنهون عن المنكر ، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً منه تدعونه ، فلا يستجاب لكم" (رواه الترمذي) ... (٧) ، كما يطلب رسول الله ﷺ من المسلم ألا يكون إمعة ، لا رأي له ولا موقف سوى مجاراة الرأي العام !! يقول عليه الصلاة والسلام : "لا يكن أحدكم إمعة ، يقول : إذا أحسن الناس أحسنت ، وإن أساءوا أسأت ، ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسنوا أو أساءوا ألا تظلموا" (رواه الترمذي) ... (٨) .

ولم تكن الدعوة إلى التعبير عن الرأي كلاماً نظرياً أو فلسفياً عقيماً ؛ بل خرجت الدعوة إلى التطبيق العملي لتثبت أن حرية الرأي إذا طبقت كما يجب فهي الحارس الأمين على كيان الدولة ونظامها ، فها هو سيدنا محمد رسول الله عليه الصلاة والسلام يمنح أتباعه الحرية التامة في التفكير والرأي ، بل وكان يحفزهم على الاختلاف معه في ارائه الصادرة عن مكانته الشخصية مع جعله إياهم يطيعونه طاعة غير محدودة على المنشط والمكره ، وفي اليسر والعسر في جوانبه النبوية ، فنراه يقول لأصحابه : "إنما أنا بشر إذا أمرتكم بشئ من دينكم فخذوا به ، وإذا أمرتكم بشئ من رأي ؛ فإنما أنا بشر" ، وقد روي أنه ﷺ قد أشار مرة على من يشتغل بالنخيل من أهل المدينة بأمر ، فلما عملوا به ، ما عاد عليهم بالنفع ، فلما ذكر له ذلك قال : "إني ظننت ظناً ، ولا تؤاخذوني بالظن ، ولكن إذا حدثتكم عن الله شيئاً ، فخذوا به ، فإني لم أكذب على الله" ، و في غزوة بدر نزل رسول الله ﷺ منزلاً ، فرآه الحباب بن المنذر ، أحد أصحابه لا يناسب المسلمين فقال : يا رسول الله ! أ رأيت هذا المنزل ، أ منزلاً أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه ، ولا نتأخر عنه ، أم هو الرأي والحرب والمكيدة ؟ قال : "بل هو الرأي والحرب والمكيدة" ، قال : يا رسول الله ! فإن هذا ليس بمنزل ، فانهض بالناس حتى نأتي أدنى ماء من القوم فننزله ، ثم نعود ما وراءه من القليب ، ثم نبني عليه حوضاً فنملؤه ماء ، ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون ، فقبل رسول الله ﷺ مشورته ، وقال : "لقد أشرت بالرأي" ثم نهض ونزل المكان الذي أشار به الحباب ، وفي غزوة الخندق أراد رسول الله ﷺ أن يعقد الصلح مع بني غطفان على أن يعطيهم ثلث تمر المدينة ، حتى تمت كتابة صحيفة الصلح ولم يبق

إلا وقوع الشهادة ، وعند ذلك بعث رسول الله ﷺ إلى سعد بن معاذ وسعد بن عبادة فذكر لهما ذلك واستشارهما فيه ، فقالا له : يا رسول الله ! أمراً تحبه فنصنعه ، أم شيئاً أمرك الله به لابد لنا من العمل به ، أم شيئاً تصنعه لنا ؟ قال : "بل شئ أصنعه لكم ، والله ما أصنع ذلك إلا لأنني رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة وكالبوكم من كل جانب ، فأردت أن أكسر عنكم من شوكتهم إلى أمر ما" ، قال سعد ابن معاذ : يا رسول الله ! قد كنا نحن وهؤلآء القوم على الشرك بالله وعبادة الأوثان ولا نعرفه ، وهم لا يطمعون أن يأكلوا من تمر المدينة إلا قرىً أو بيعاً ، أفحين أكرمنا الله بالإسلام وهدانا له وأعزنا به وبك نعطيهم أموالنا ؟ والله ما لنا بهذا من حاجة ، والله لا نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم ، قال عليه الصلاة والسلام : "فأنت وذاك" فتناول سعد ابن معاذ الصحيفة فمحا ما فيها من الكتاب ، وفي غزوة حنين لما جعل ﷺ أكثر الغنائم على المستهدين الجدد إلى الإسلام يؤلف بها قلوبهم و وجد عليه ذلك جماعة من الأنصار أرسل إليهم ، ولم يقل لهم تسويغاً لما فعل : إني رسول الله إليكم ولي أن أتصرف في هذه الغنائم كيفما أشاء ، وليس من حقكم أن تعترضوا علي ؛ بل قام فيهم خطيباً وقال : "ألا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاة والبعير، وترجعوا برسول الله إلى رحالكم ؟ فوالذي نفس محمد بيده لو لا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار ، ولو سلك الناس شعباً وسلك الأنصار شعباً لسلكت شعب الأنصار ، اللهم ارحم الأنصار ؛ وأبناء الأنصار ؛ وأبناء أبناء الأنصار" أي إنما خاطب عقولهم وأهاب بعواطفهم ، ولم يستغل إيمانهم برسالته ؛ فرجعوا عنه وهم في غمرة من الارتياح والطمأنينة ،

ولم يقتصر دور رسول الله ﷺ في بث حرية الرأي والتفكير على علية القوم وأصحاب المناصب والمراكز القيادية، ولا على الأمور السياسية والوطنية. بل شمل حتى العبيد والإماء، وفي مسائل الزواج والأسرة. فقد روي أنه كانت في المدينة جارية تدعى بريرة لما أعتقها أهلها فارقت زوجها، وكانت لا تحبه، وكان زوجها مولعاً بها فشق عليه فراقها، وجعل يتبعها في كل مكان يبكي ويستشفع إليها الناس، فقال لها رسول الله ﷺ: "لو رجعت إليه" قالت: أتأمرني يا رسول الله، قال: "لا آمرك ولكن أشفعه إليك"، قالت: "فإذن لا أريد الرجوع إليه" ... (٩).

وقد كان الخلفاء الراشدون أنفسهم أحرص الناس بعد رسول الله ﷺ على تثبيت مبدأ الحرية الفكرية والتعبير عن الرأي، و اتباعاً لرسول الله ﷺ لم يكونوا يكتفون باحتمال نتائج الحرية الفكرية من قبل الناس بل مضافاً إلى ذلك كانوا يستثيرون همم الناس على عضها بالنواجذ، فها هو أبو بكر الصديق إذ قال شيئاً برأيه يقول: هذا رأيي؛ فإن يكن صواباً فمن الله، وإن يكن خطأ فمني، واستغفر الله ... (١٠) وأول ما قاله أبو بكر الصديق ﷺ حين وُلي الخلافة: أيها الناس! إني وُليت عليكم، ولست بخيركم إن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوموني، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإذا عصيت فلا طاعة لي عليكم ... (١١) كما يخطب عمر بن الخطاب ﷺ في الناس قائلاً: إذا أحسنت فأعينوني، وأن أسأت فقوموني، فيقول له سلمان الفارسي: والله لو وجدنا فيك اعوجاجاً لقومناه بحد السيف، فيقول له عمر: الحمد لله الذي جعل في رعية عمر من يقومه بحد سيفه!! ... (١٢) يدخل حذيفة على عمر بن الخطاب ﷺ فيجده مهموم النفس

باكي العين، فيسأله: ماذا يا أمير المؤمنين؟ فيجيب عمر: إني أخاف أن أخطئ فلا يردني أحد منكم تعظيماً لي، يقول حذيفة: فقلت له: والله لو رأيناك خرجت عن الحق، لرددناك إليه، فيفرح عمر ويستبشر ويقول: الحمد لله الذي جعل لي أصحاباً يقوموني إذا اعوججت، ويصعد ﷺ المنبر يوماً فيقول: يا معشر المسلمين! ماذا تقولون لو ملت برأسي إلى الدنيا هكذا؟ فيشق الصفوف رجل، ويقول: وهو يلوح بذراعه كأنها حسام ممشوق: إذن نقول بالسيف هكذا!! فيسأله عمر: إياي تعني بقولك؟! فيجيب الرجل: نعم إياك أعني بقولي، فتضئ الفرحة وجه عمر ﷺ ويقول: رحمك الله والحمد لله الذي جعل فيكم من يقوم عوجي، وفي ذات مرة ينهض سلمان قائلاً لعمر: والله لا نسمع، والله لا نسمع!! فيسأله عمر في لهفة: ولم يا سلمان؟! فيجيب سلمان ميزت نفسك علينا في الدنيا أعطيت كلاً منا بردة واحدة وأخذت أنت بردتين!! فيقول عمر: أين عبد الله ابن عمر؟ فينهض ابنه عبد الله قائلاً: ها أنذا يا أمير المؤمنين، فيسأله عمر على الملأ: من صاحب البردة الثانية؟ فيجيب عبد الله: أنا يا أمير المؤمنين، ويخاطب عمر ﷺ سلمان والناس معه فيقول: إنني كما تعلمون رجل طوال، ولقد جاءت بردتي قصيرة، فأعطاني عبد الله بردته فأطلت بها بردتي، فيقول سلمان وفي عينيه دموع الغبطة والثقة: الحمد لله، الآن قل نسمع ونطع يا أمير المؤمنين، ويدور ذات يوم حوار بينه وبين واحد من الناس، ويتمسك الآخر برأيه، ويقول لأمير المؤمنين: اتق الله يا عمر، ويكررها مرات كثيرة، فيزجره أحد الأصحاب الجالسين قائلاً: صه، فقد أكثرت على أمير المؤمنين، ولكن أمير المؤمنين يقول له: دعه، فلا خير فيكم إذا لم تقولوها، ولا خير فينا إذا لم نسمعها،

وكان ﷺ واثقاً بنفسه واستقامة نهجه، ومن ثم لم يكن يحاذر النقد أو يخاف المعارضة بل كان يبحث عنهما ويثيب عليهما ويثيرهما في قلوب أمته وعقول شعبه، ويتخذ منهما مشعلاً يستضئ به، وحجة يستكمل بها صواب أمره، ويخطب عمر في الناس يوماً قائلاً: لا تزويدوا مهور النساء على أربعين أوقية، فمن زاد ألقيت الزيادة في بيت المال، فتنهض من صفوف النساء سيدة تقول: ما ذاك لك، فيسألها: و لم ؟ فتجيبه: لأن الله تعالى يقول: ﴿ وَ آتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَاراً * فَلاَ تَأْخُذُوْا مِنْهُ شَيْئاً * أَتَأْخُذُوْنَهُ بُهْتَاناً * وَإِثْماً مُّبِيْناً ﴾ (النساء/٢٠) فيهلل وجه عمر ويبتسم ويقول عبارته المأثورة: أصابت امرأة وأخطأ عمر ... (١٣).

وكذلك لم يفرض أحد من الصحابة رضوان الله رأيه على الآخرين، ولم يقل أي منهم أنه على حق دائماً، وأنه لا يخطئ ولا يعتوره النقص فعليكم أن تتبعوه اتباعاً مطلقاً، ولم يقل أي منهم تسفيهاً لآراء الآخرين: إن ما سواه فهو على خطأ دائماً، وقد كان التابعون أيضاً ينتقدون الصحابة، ويغربلون آرائهم، ويميزون أقوالهم، ويميلون من رأي أحدهم إلى رأي غيره منهم، يقول الإمام مالك بن أنس بصدد ما يوجد من الاختلاف في آراء الصحابة بصراحة متناهية: خطأ وصواب، فانظر في ذلك، ويقول: الإمام أبو حنيفة: أحد القولين خطأ، والمأثم فيه موضوع أي لابد من خطأ أحد القولين من أقوال الصحابة إذا تعارضا، ومن أقوال عبد الله بن مسعود: ألا لا يقلدن أحدكم في دينه رجلاً إن آمن آمن، وإن كفر كفر، فإنه لا أسوة في الشر، ويقول الإمام مالك: إنما أنا بشر أخطئ وأصيب، فانظروا في رأيي، فكل ما وافق الكتاب والسنة فخذوه، وكل ما لا يوافق

الكتاب والسنة فاتركوه. ومما يرويه التاريخ عن الإمام مالك أن الخليفة العباسي هارون الرشيد استشاره في أن يجعل كتابه الموطأ دستوراً يعمل به المسلمون في الدولة الإسلامية كلها، ويلغي فيهم سائر المذاهب الفقهية، ولا يروج فيهم إلا مذهبه، لكن الإمام مالك منعه من ذلك لأنه ما كان يرضى بأن يسلب الآخرين حقهم في التحقيق وحريتهم في الرأي والاجتهاد ... (١٤).

(يتبع)

الهوامش:

(١) مفاهيم إسلامية حول الدين والدولة - أبو الأعلى المودودي: ص/١٣٠.

(٢) من وصايا القرآن الكريم - محمد الأنور أحمد البلتاجي: ص/٦٩٣.

(٣) كتاب من وصايا القرآن الكريم - محمد الأنور أحمد البلتاجي: ص/٦٨٧.

(٤) مذاهب فكرية معاصرة محمد قطب: ص/٢٤٧-٢٤٨.

(٥) من وصايا القرآن الكريم - محمد الأنور أحمد البلتاجي: ص/٦٩٠.

(٦) مذاهب فكرية معاصرة محمد قطب: ص/٢٤٧ و/٢٥١.

(٧) من وصايا القرآن الكريم - محمد الأنور أحمد البلتاجي: ص/٦٨٩-٦٩٠.

(٨) مذاهب فكرية معاصرة محمد قطب: ص/٢٤٨.

(٩) مفاهيم إسلامية حلو الدين والدولة - أبو الأعلى المودودي: من ص/١٣١ إلى/١٣٥.

(١٠) مفاهيم إسلامية حلو الدين والدولة - أبو الأعلى المودودي: من ص/١٣٩.

(١١) من وصايا القرآن الكريم - محمد الأنور أحمد البلتاجي: ص/٧٠٨-٧٠٩.

(١٢) مذاهب فكرية معاصرة - محمد قطب: ص/٢٤٤.

(١٣) من وصايا القرآن الكريم - محمد الأنور أحمد البلتاجي: ص/٧٠٩ إلى/٧١١.

(١٤) مفاهيم إسلامية حول الدين والدولة - أبو الأعلى المودودي: من ص/١٣٩-١٤٠.

العالم الإسلامي قبل الصحوة وبعدها

(٢) بقلم : الأستاذ يحيى النعماني الندوي

إن الأمة الإسلامية ؛ ليست مثل الشعوب والجنسيات التي تقيمها وتجمعها الوحدات الوطنية أو اللسانية أو العرقية ، وإنما هي أمة أخرجت للناس لإقامة الخير وإحلال الأمن والعدل ، وتحقيق العبودية الخالصة لله ﷻ ، وبعثت (بمسئولية الأنبياء) بشهادة الحق على العالم كله ، ولنشر الربانية ومبادئ الخير والفطرة ، ومكافحة الفساد والشر .

و إنه لا مبرر لوجود الأمة ، و لا معنوية لها إذا غفلت عن دورها ، و نسيت رسالتها ، و انطوت على نفسها تاركة زمام قوافلها بيد غيرها ، أو ملقية نفسها في مهبّ الرياح وتيارات الأهواء والشهوات لتتوجّه بها حيثما شاءت .

إن الصحوة المباركة تعود بالأمة وتربطها برسالتها بعد ما كانت غافلة عنها ، وأصبحت كسائر الشعوب همها الأكل والشرب ، وإشباع نهم الشهوات .

● **مصير الأمة منوط بسيرتها :**

إن مصائر الأمم رهينة الموازين المادية ، ولكن الأمم التي تحمل الرسالات السماوية ، وأمانة الأنبياء تكون مصايرها منوطة بموقفها من هذه الأمانة ، إن القرآن يكشف ، وإن التاريخ يشهد بتجاربه أن الأمم التي جاءتها النبوات بقيت رهينة سيرتها و وفائها بأمانتها ، لذلك فإن

هذه الأمة أينما كانت ، وكيفما كانت ، فإن عزتها وسعادتها منوطة بسيرتها وإيمانها وخلقها وتمسكها بدينها ، وإن مصيرها تابع لمعنوياتها التي تنبثق من الدين ، وإن منبع قوة هذه الأمة في باطنها وروحها ، بنصر من الله ، وتأييد منه . وهو القويّ العزيز .

وانطلاقاً من مبدأ الأمانة التي حملتها هذه الأمة أمانة رسالة الله إلى عباده لتمثلها على وجه الأرض ، فإن شقاء الأمة كل الشقاء كان بتضييعها لهذه الأمانة والرسالة ، وإخلافها ونقضها لعهود الله ومواثيقه ، وضلالها وتيهها في وديان الحياة شأن بقية الأمم ، وانشغالها بالمعدة والشهوة ، وهكذا سقطت من عين الله ، واستخفتها الشعوب ، إنه تجربة التاريخ ، وحقائق شهد بها كتاب الله .

فإن كانت الصحوة عبارة عن عودة الأمة إلى دينها ومحاولتها لإرضاء ربها و وفائها بالعهود والأمانات الربانية ، فمعناها أنها تجر الأمة من موقف سخط الله وغضبه إلى موقف رضاه واصطفائه : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا * لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ ﴾ (الأعراف/٩٦) ، ﴿ وَعَدَ اللهُ الَّذِيْنَ آمَنُوْا مِنْكُمْ * وَعَمِلُوْا الصَّالِحَاتِ * لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ * كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِهِمْ * وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِيْنَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ * وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ آمَناً * يَعْبُدُوْنَنِي * لاَ يُشْرِكُوْنَ بِي شَيْئاً ﴾ (النور/٥٥) .

ولكن سنة الله مضت أن طريق أي أمة إلى مكانة الاصطفاء العظيمة فيها مراحل الابتلاء : ﴿ لِيُمَيِّزَ اللهُ الْخَبِيْثَ مِنَ الطَّيِّب ﴾ والمنافق من المؤمن الصادق الوفي ، ثم يتحقق وعد الله للصابرين ، كما : ﴿ تَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِيْ إِسْرَائِيْلَ بِمَا صَبَرُوْا ﴾ .

وقد تكون هذه البلايا والمصائب التي زلزلت كيان الأمة الإسلامية وهزتها ، وهذه النكسات التي لا تزال في تتابع وتوال

إمارات على طريق التمكين ومراحل منها ، أراد الله بها تزكية النفوس وتجلية البواطن وتخليص النوايا وإزكاء المواهب وإنماءها : ﴿ سُنَّةَ اللهِ فِيْ الَّذِيْنَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ ﴾ .

● **الصحوة مبشر خير :**

صحيح أن البلايـا قاصمـة ؛ والمصـائب فادحـة ؛ وأن الهزائـم عظيمة ، وما فقدته الأمة من مجدها السالف لا يتسلى عليه ، وصحيح أن الصحوة الموجودة بنطاقاتها الواسعة ودوائرهـا العظيمـة لم تسفر حتى الآن عن نتائج مادية ظـاهرة ، فـالقروح تسـيل قيحـاً ، والجـروح تنزف دماً ، والهزائم تتبعها هزائم ، واخطبوط المؤامرات يتفاقم بشكل مرعب ، وطغيان الكفر المتكبر في تصاعد وغليان ، ومـا أشـبه الليلـة بالبارحة ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

ولكن يجب لتقويم الصحوة وتقديرهـا أن ننظـر فيـها بنظـرة أعمق وبشكل أوسع ، ونستعرضها في واقعـها الـتي تعـاملت معـه ، والدور التي قامت به في الأمة ، ونلقي نظرة كذلك على ما كانت عليه الأمة قبل الصحوة ، وفي عهد جمودهـا وسـقوطها ، ومـن خـلال هـذه النظرة الشاملة والتقويم الموضوعي الواقعي يتضح أن هـذه الصحـوة المباركة نجحت إلى حد كبير ، ولعبـت ولا تـزال دوراً عظيمـاً في بنـاء الأمة من جديد ، الأمة الـتي كـانت قـد تـآكلت أسسـها وجذورهـا ، وتخربت جدرانها و وهت سقوفها وفقدت حيويتها ، فطبيعي أن تأخذ العملية وقتـاً طويـلاً ، خصوصـاً بـالنظر إلى ضخامـة العـدد وتبـاعد الأطراف .

● **ترشيد الصحوة الإسلامية وتوجيهها :**

إن الصحوة الإسلامية واقع عام يوجد في مجتمعـات وظـروف مختلفة ، ويتعامل مع أنواع من الملابسات والأحوال ، فـهي صحـوات

كثيرة مختلفة في أوضاعها ومشاكلها ، ومن الطبيعي أن من تعـامل مـع أوضاع مشكلة وفي ظـروف التحديـات لابـد أن تصـدر منـه أخطـاء وزلات ، لا يتنبه عليها إلا بعد تجربتها ، وهو على كل حال خير وأولى من الذي يتقاعد منزوياً لا يغار على دينه وأمته ، ولا يتحمـس لحمايـة الحق ونصره ومجابهة الباطل ، ومن هنا يجب قدرها وتشـجيعها ؛ كمـا يجب ترشيدها وتوجيهها الوجه الصحيح ، والعمل علـى تنميتـها في الشعوب والمجتمعات ، وصيانتها من الانحراف والضياع ، وحمايتها مـن كيد الكائدين وعبث العابثين ، واتخاذ المواقف الحكيمة لصيانتها مـن الكفر الطاغي الذي يتحين الفرص والحيل لضربها والقضاء عليها .

وفيما يلي عـدة نقـاط توجيهيـة ربمـا تنفـع العـاملين في هـذه الصحوة المباركة .

● **الإيجابية والبعد عن ردة الفعل :**

لا شك أن التحديات تبعث على الانتفاضة والعمل ، ولكـن يجب لسلامة الصحوة الإسلامية ومعنويتها أن تكـون أعمـق وأرسـخ من أن تكون مجرد ردة فعل لواقع مرير أو ظروف مضادة ، إنه يمكن أن يتسنى لحركة سياسية أو انتفاضة قومية أن تكون منبثقة ونابعة من ردة الفعل ، ولكن هذا المسار لا يجدر بالصحوة الإسـلامية لأنـها تفـارق النهضات القومية في طبيعتها وهدفها .

لابد أن تنبثق الصحوة من عبودية الله والإيمان الراسخ وإيثـار الدار الآخرة على الدنيا ، بعيدة عن كل ما ترنو إليه الحركات القومية من حظوظ الدنيا ، ولا تحدوها في سيرها إلا ابتغاء رضوان الله واشتياق ما أعده الله للدعاة والعاملين للإسلام من أجور ونعيم مقيم .

إن الصحوة مـن طبيعـة الإسـلام ونبـع أصيـل منـه ، يكفـي لإيجادها وتحريكها ونفخ روح الحيوية والنشـاط في المسـلم مـا في هـذا

الدين من إيمان وعقيدة، وما أخبر به رسول الله ﷺ من ثواب عظيم للهادي والمجاهد، وما يحتوي عليه صدر المؤمن من يقين راسخ وجازم بأن الهدى هدى الله، وما سواه ضلال وشقاء في الدنيا والآخرة، ويحمله على العمل والدعوة ما يشعر به من المسئولية والرحمة على الخلق.

وهنا يشعر المستعرض لواقع عدد من الحركات العاملة في حقل الدعوة والصحوة أنها لا تهتم بترسيخ جذورها في أصالة الدين وإقامة قواعدها على أسسه حق الاهتمام، وتكتفي بأن تقوم الصحوة كحركة مقاومة ومجابهة للظلم والطغيان؛ وكثورة على نظام ظالم.

● العقيدة السليمة:

إن أول وأهم شرط لسلامة الصحوة ونجاحها أن تكون موافقة للعقيدة الصحيحة ومؤسسة عليها، وأن تبتعد كل الابتعاد عن الأفكار الشاذة، وهنا يلزم أن تكون قادتها وعلماؤها يركزون على بيان العقيدة الصحيحة ومنهج سلف الأمة من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، ويقومون بتحذير العامة من الأفكار الشاذة والبدع، ذاك أن العقيدة الصحيحة والإيمان هما بمثابة الروح في جسد الأمة، فلا سلامة للصحوة ولا ضمان لسداد وجهتها إذا فسدت روح عقيدتها، إنه يمكن لحركة سياسية لا تستهدف شيئاً سوى تحصيل أغراض مادية لشعب أو فرقة أو أفراد أن تغفل عن المبادئ والأفكار، ويمكن أن تنال مطلوبها كذلك، ولكن أنى لأتباع الرسل وحاملي دعوتهم والموقعين عنهم، وأنى لدعاة الإسلام والعاملين لتجديد الدين أن يغفلوا عن العقيدة والإيمان !!

لقد كانت هناك تيارات في تاريخ الإسلام والمسلمين حصل لها بريق ولمعان في فترة من التاريخ، وبروز وظهور حتى أصبحت

"موضة" يفتخر الشباب المتنورون باحتضانها والانتساب إليها باعتبارها رمزاً للعقلانية والتجدد، وكانت لها صولات وجولات في المجتمع إلا أنها لما كانت مبنية على عقيدة فاسدة أو انحراف عن جادة القافلة الأولى من قوافل الإيمان لم توضع فيها بركة، فلم تشكل هذه الحركات جيشاً لمجاهدة عدو، ولم يهد الله بها الأجيال، ولم تترك علماً ينتفع به، ولم تغرس حب الله وتقواه في نفوس غافلة، ولم تعمر بنور الذكر صدوراً خربة وعرة، ويعرف هذا الواقع من درس التاريخ العلمي والحركات العلمية في الإسلام، ويمكن أن نذكر حركة الاعتزال كمثال لهذا الواقع، مع أنه كان في المعتزلة عباقرة وزهاد وصالحون، ومن يضرب بهم المثل في التقوى والعبادة.

ومن هنا يلزم أن تقترن الصحوة علم راسخ ودراسة واعية و واسعة للقرآن والسنة الصحيحة في قادتها وصاغة فكرها، مهما كانت الملابسات ومهما كانت الدواعي.

● الاتزان والوسيطة:

ومع الثبات والتثبيت على العقيدة الصحيحة ومنهج سلف هذه الأمة، فإنه ينبغي للعاملين في الدعوة وتنشيط الصحوة أن يلزموا الوسطية والاتزان في دعوتهم، ويضعوا كل شئ في مقامه اللائق به، ويعرفوا درجات الأحكام والمراتب بينها، وذاك أن العقائد ليس كلها على درجة واحدة، بينها تفاوت عظيم جداً. منها ما لأجلها بعث الأنبياء وحورب عليها أهل الضلال، ومنها ما دون ذلك فليس من حكمة الدين والفقه فيه أن يوضع كلها في مرتبة واحدة بدعوى الاهتمام بالعقيدة.

ومما ينبغي الانتباه عليه واقع التفاوت في البدع كذلك، فقد أفرط فيه كثيرون كما فرط في الاحتزار من البدع الكثيرون، فإن

البدع كسائر السيئات ، منها كبائر وعظام ، ومنها صغائر . ومنها اللمم الذي لا يسلم منه إلا من عصمه الله ، ومنها مشتبه ومنها أمور اجتهادية ، كذلك هناك أمور وأعمال يراه بعض العلماء من البدع ، ولا يراه بعضهم منها ، ولا يشك أحد في علمهم وحرصهم على اتباع الرسول الكريم ﷺ و انشغالهم بالسنة و الكتاب و خدمتهما ودراستهما ، ورباتيتهم وإخلاصهم ، وطريق أهل الحق والعلم في القضايا التي اختلف فيها المجتهدون (وهم عدد لا بأس به) عدم القطع بتصويب أو تخطئة أحد الجانبين ، بل يستدلون لرأيهم ويبينون أنه هو الصحيح عندهم وأن مخالفهم مخطئ عندهم .

وكذلك عليهم أن يفرقوا بين من انحرف في أصل المنهج ومن وقع في بدع وأخطاء بتأويل أو غيره مع السلامة في المنهج والأصول .

ومن الفقه في الدين في قضية البدعة والعقيدة مراعاة الواقع الذي تعيشه الأمة والذي يتطلب من الجميع التوحد والانسلاك في سلك واحد لمواجهة طغيان الكفر الذي قد شن الحرب على المسلمين بأجمعهم وغزاهم بالقول والكلمة ، والسيف والسنان ، و وسائل تدمير الأخلاق وتحطيم الكرامة ، وبجيوش تراهم من كل حدب ينسلون . فواقع الحال يدعو قبل أي شئ الاستعداد والاهتمام لمواجهة هذا الخطر العظيم ، فبلاد المسلمين كلها تحت سيطرتهم ، وجيوشهم وأنظمتهم مسخرة لخدمة أهدافهم ، وأنظمة التربية والتعليم تعمل لتغرس في رؤوس المسلمين عقولاً وأذهاناً كافرةً أو منافقةً ، والإعلام يشكل ضغثاً على إبالة ، فمحاربة البدع ونشر السنة لا يعني - قطعاً تفريق كلمة المسلمين أو عرقلة سبيل المجاهدين والمرابطين على هذه الثغور : "فالجهاد مع كل بر وفاجر" .

● الربانية والتعبد :

إن الصحوة الإسلامية لابد أن تكون مشبعة بروح الإسلام ، ولابد أن تكون على طراز الصحوة الأولى . التي كان من خصائصها الأولى الربانية والتعبد ونزعة قوية في العبادة والذكر ، ومن هنا كان من واجب قادة الصحوة المباركة المعاصرة أن يكون لهم اشتغال بالعبادة ظاهر ، لأنه لا يمكن اقتطاف ثمرة الدعوة والصحوة بدون العبادة والربانية ، فإنها هي المعاني الجالبة للنصر ، والمثبتة على الدرب ، والمرسخة للأقدام والمقوية للأفئدة ، وبدونها يخشى على الصحوة الإسلامية أن تفقد قوتها ودفعها ، وتتحول كسائر الحركات والدعوات .

إن منصب تجديد الدين ونصرة الإسلام وتأييده منصب عظيم لا يقوم به إلا من اصطفاه الله ، ورغب فيه واستخلصه لنفسه ، وهذا المنصب لن يتأتى إلا لمن قويت صلته بالله ، وضعفت علائقه مع غيره بالتعبد والربانية والاشتغال بالنفس ، وتعمير الصدور بذكر الله والابتهال والتضرع ، ولهذا لا ترى في تاريخ الإسلام من قام بتجديد الدين و نفخ روح جديدة في الأمة إلا كان متصفاً بهذه النزعة قوياً فيها ، فهذا هو الرسول الأعظم ﷺ يأمره مولاه بقيام الليل الطويل ؛ والذكر والتسبيح في أحشائه للاستعداد لتحمل الأمانة الثقيلة (المزمل/١-٦) ، ويأمره بالاستعانة بالصلاة (البقرة/١٥٣) . والذكر (الأنفال/٤٥) ، على الجهاد والثبات في مواقع المحن والشدائد ، وهؤلاء أئمة الهدى من خلفائه الراشدين وأصحابه البررة والتابعين لهم بإحسان من علماء هذه الأمة ومجدديها ، تجد كلهم يتغذون بالتعبد ، ويتحلون بالربانية ، هذا عمر بن عبد العزيز ، وهذا إمام أهل المدينة مالك بن أنس ، وهذا إمام أهل السنة أحمد بن حنبل ، وهذا الشافعي

والليث بن سعد وهذا هو المجدد شيخ الإسلام ابـن تيميـة يتقـوى بالعبادة على علمه و دعوته وجهاده للحق ، يقـول عنـه ابـن القيـم ، وكان إذا صلى الفجر يجلس في مكانه حتى يتعالى النهار جداً . يقول : "هذه غدوتي ، لو لم أتغد بها سقطت قواي" (٣) ، ويصـوره في ليلـه مرعي بن يوسف الكرمي قائلاً : "وكان في ليله منفـرداً عـن النـاس كلهم خالياً بربه ﷻ ضارعاً إليه مواظباً على تلاوة القـرآن الكريـم ، وكان إذا دخل في الصلاة ترتعد فرائصه وأعضـاؤه ؛ حتـى يميـل يمنـة ويسرة" (٤)

إن هذه الربانية والتعبد تورث السكينة التي هـي زاد الداعـي والمجاهد ، ويكسبه مـن اليقـين والسـرور بالاسـتقامة مـا يـهون عليـه متاعب الدنيا ومشاقها وآلامها ، فهذا ابن تيميـة يقـول : "مـا يصنـع أعدائـي بـي ، إن جنـتي وبسـتاني في صـدري ، إن رحـت ؛ فـهي لا تفارقني" (٥) .

إن تجديد الدين وإحياء الملة عملية عظيمة وعمليـة ربانيـة في أصلها وجوهرها ، والدين دين الله لا يوفق لتجديده ، والقيام به مقـام الأنبياء إلا من يسترضيه بالتعبد والتملق ، لذلك لا تـرى أحـداً قـدر على قلب التيار وغـير مجـرى التـاريخ أو نفـخ روحـاً جديـداً في أمـة الإسلام إلا وتجده يسلك هذا المسلك لا يتقاعد عنه ، بـل قـد لا تجـد أحداً يعرف بامتياز في دين أو علم أو أمر بمعروف ، ونهي عـن منكـر إلا وفيه هذه النزعة .

(٣) الوابل الصيب : ص/١٣١ ؛ نقلاً من ابن تيمية - لأبي الحسن الندوي .
(٤) الكواكب الدرية في مناقب ابن تيمية : ص/١٥٦ .
(٥) الوابل الصيب : ص/٦٦ .

إن هذا الجـ ـب قد عظم به تفريطنا في هذا الزمن ، فكثير مـن أولئك الذين ينتسبون إلى الدعوة والعلم ، وحركة الإصلاح والتجديد أدى تفريطهم في التعبد والتنسك إلى جفاف في الـروح ، وظاهريـة في العمل وروتينية ومفاسد عظيمة في السلوك والمسار ، والله المستعان .

إن الهوى ثعبان على طريق الدعوة ، كم من الجهود ضاعت أو أثمرت بثمار مسمومة من أجل هـذا التنين ، وقـد لا يشـعر الداعـي والعالم بهذا السم ، فيفسد عمله ويأتي بطوام ويضر إلى الإسلام أكثر مما ينفع ، وإنه لا عـلاج للـهوى ولا كـابح لجموحـها مثـل العبـادات القلبية والذكر والاستشـعار بعظمـة الله والتعبـد بصفاتـه في أحشـاء القلب ، لقد كـان العلمـاء والدعـاة في المـاضي يشـتغلون بنفوسـهم بترويضها لهذه التعبدات ، ويسـتعين في ذلـك الصغـار بالكبـار ، أمـا اليوم فلا اشتغال بالنفوس والقلوب ، ولا هناك مشايخ تعرض عليهم أحوال القلوب وأمراضها ، ويستعان بهم (بعـد الله) في علاجـها ، إلا قلة قليلة من الذين أصبحـوا غربـاء في سـاحة العلـم والدعـوة بـين الكثرة الكاثرة التي اكتفت بالظواهر الجافة .

إن الصحوة الإسلامية المعاصرة نتفاءل بها ، وهي مبشر خير إن شاء الله ، ولكن هذا لا يجعلنا نغفل عن الثغرات الموجودة فيها ، إنه لا سلامة لهذه الصحوة مـن آفـات الهـوى ، والخـواء البـاطني والضعـف الداخلي ، والتضارب والتـآكل إذا لم يتـم تطعيمـها وتغذيتـها بـهذه الأغذية الدسمة التي تولد فيها مناعة ضد هذه الأمراض وأخطار الهوى وتورثها قوة عجيبة .

(يتبع)

***

الفقه الإسلامي:

قضية الزواج مع الكتابيات في منظور الشرع الإسلامي

(٢/الأخيرة)

بقلم: الأستاذ محمد اسجد القاسمي الندوي
(محاضر بجامعة ... لعلوم الإسلامية - بستي - الهند)

● **الفكرة الإسلامية المعتدلة تجاه الزواج والنكاح مع الكتابيات:**

قد ذكرنا قضية صحة الزواج بالكتابيات بشئ من الوضوح، ولكن هل الزواج بالكتابيات - رغم جوازه وصحته يحقق الغاية الأساسية للنكاح؟ وهل هو يلائم متطلبات الروح الإسلامية العاملة في أمر الزواج؟ وهل هو عمل يليق بالمصالح الدينية والاجتماعية؟ هذا ما نستعرضه فيما يأتي.

من الحقائق النيرة أن الزواج في الشرع الإسلامي ليس تعاقداً اجتماعياً (Social Contract) فحسب، كما هو رأى بعض المتنورين، بل يحمل هو في طيه قدسية دينية روحية أيضاً، وهو عبادة سامية في المنظور الإسلامي، والشارع يهدف به إلى إصلاح الأخلاق، وتزكية المجتمع، وتنشئة النظام الاجتماعي الخالص على أسس الدين الإسلامي الحنيف، و إنجاب جيل يرفع رأية الإسلام، و يحمل رسالة الدين الخالد، ويقوم بنشر التعاليم الدينية الحقة في كافة أرجاء العالم، ولما أن النكاح الشرعي يساعد في تحقيق هذه الغايات فجعله الله عبادة من أهم العبادات، وحسب تصريح بعض فقهاء الإسلام قد يفضل النكاح على الجهاد لأسباب عديدة، منها أن النكاح والجهاد كليهما من أسباب وجود المسلم والإسلام، ولكن النتيجة الحاصلة من مناكحة المسلمين أكثر من النتيجة الحاصلة من الجهاد، فإن نتيجة الجهاد تظهر في قتال الكفار أو بقائهم كافرين أهل الذمة، وبالعكس من ذلك فإن

نتيجة النكاح تبدو في صيانة خلقيّة لجيل من المسلمين و وجود جيل جديد من أتباع الإسلام (١١).

ولإدراك وجهة نظر الإسلام بصدد الزواج ينبغي أن تركز العناية على أحاديث الرسول الكريم ﷺ المنوطة بالزواج والنكاح:

١- قال ﷺ: "تناكحوا تناسلوا تكثروا؛ فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة".

٢- أربع من أعطيهن؛ فقد أعطي خير الدنيا والآخرة. قلباً شاكراً، ولساناً ذاكراً، وبدناً على البلاء صابراً، وزوجةً لا تبغيه حوباً في نفسها وماله" (رواه الطبراني في الكبير والأوسط).

٣- من أراد أن يلقى الله طاهراً مطهراً؛ فليتزوج الحرائر (رواه ابن ماجة).

٤- لا تزوجوا النساء لحسنهن. فعسى حسنهن أن يرديهن، و لا تزوجوهن لأموالهن، فعسى أموالهن أن تطغيهن، ولكن تزوجوهن على الدين، فلأمة خرقاء سوداء ذات دين أفضل (رواه ابن ماجة).

وهناك كثير من الأحاديث في هذا الصدد، يتبين منها أن مكانة الزواج في الإسلام ليست لتحقيق حاجات عمرانية فحسب، بل الهدف المنشود هو تحصين النفس، وتطهير الأخلاق، وإنجاب النسل المسلم، وإعداد الجيل المؤمن، وبث الحضارة الإسلامية الخالصة، ولا يتم هذا الهدف إلا بأن ينكح المسلمون نساء مسلمات دينات كريمات عفيفات متحليات بالأخلاق الدينية، فإن بناء المجتمع الصالح السليم، وإنجاب الجيل الصالح المسلم لا يمكن إلا بمناكحة مثل هؤلآء الرجال والنساء.

وبصرف النظر عن الوجهة الدينية لو قمنا بالتحليل عن

(١١) يهودية ونصرانية (الأردية)؛ للأستاذ المودودي: ص/٥٣٣.

الوجهة الاجتماعية فحسب ، فلا مناص إذاً عن الاعتراف بأن لا شئ أفتك وأقتل وأخطر للنظام الاجتماعي ، والحياة العائلية الأسرية من الزواج الخليط (Mixed Marriage) فإن الاجتماع الزواجي بين الزوجين المتحاربين فكراً ، المتباعدين نظرة ، المتباينين تعايشاً وتربيةً وبيئة وجواً لا يوفرهما راحةً وهدوءاً وسكوناً ومودةً ، ولا يمكن به إنجاب النسل الصالح وبناء المجتمع الصالح قط ، ومن الممكن أن تكون المودة بينهما وطيدة حتى نهاية الحياة ، ولكنها تكون عقيمة مشئومة من حيث المصالح العمرانية والحضارية .

إنه لمن حكمة الإسلام أنه يراعى الكفاءة في النكاح ، والغرض وراءها هو تحسين العلاقات الودية بين الزوجين وتوطيد أواصرهما ، وبناء المجتمع الإسلامي على الود الخالص ؛ والائتلاف والإخلاص ، فإن تخالف الزوجين طبقةً وتعايشاً ، وفي الإطار المعاشي والاجتماعي ؛ ربما لا يحقق غاية النكاح المبدئية ، ولذا يرى الإسلام بالتماثل بين الزوجين حسبما أمكن ، وبدون التماثل لا يبقى النكاح إلا مواصلة بدنية فقط ، ولا يحصل به أي غاية عمرانية وحضارية .

وبالنسبة إلى مضار عدم الكفاءة بين الزوجين تتضاعف مضار تباين الدينين في الزوجين ، وأخطر الخطر في ذلك أن الذرية المتربية في أحضان الأم غير المسلمة لا تنفع شيئاً للمجتمع الإسلامي من حيث الخلق والدين ، وبالإضافة إلى ذلك ؛ فالزوجة غير المسلمة تقوم بالأمور المضادة للإسلام في البيت ، وتؤثر على زوجها وعلى جميع من يرتبط ويتعايش معها من المسلمين ، ويمكن أن تكون خطراً عظيماً لإسلام زوجه وديانته وتقواه ، ويمكن أن تكون وسيلةً من قبل معادي الإسلام لإفساد المجتمع الإسلامي ، والتجسس على المسلمين وغير ذلك .

وفي التاريخ علة نظائر لذلك ، فمن لوّث المجتمع المسلم

الهندي بالطقوس الشركية والأمور الجاهلية ؟ ومن قضى على الحكومات الإسلامية ؟ ومن أفسد أجيال المسلمين خلقاً ودينا ؟ وليس الجواب إلا فتنة النساء اللاتي كانت مشركات أو منافقات مظاهرات بالإسلام ، فتعرّض الجيل المسلم للفساد في أحضانهن ، وقضي على الحكومة الإسلامية لتغلغل حب مثل هذه النساء في أحشاء أمراء الحكومة وأعيانها ، وما نراه الآن من فساد نظامنا الاجتماعي وتجوفه ؛ فالسبب فيه تلك الحضارة الغربية التي سحرت ببريقها ومظاهرها الخلابة عقولنا وقلوبنا ، واستولت فتنة النساء الغربيات على مشاعرنا وأفكارنا .

ويمكن لقائل أن يقول هنا : إن من الحكمة والسداد أن يغلق باب الزواج مع غير المسلمات من الكتابيات في الإسلام ؛ نظراً إلى ما ذكرنا من الأخطار والمضار ، ولكن الإسلام يأذن ويبيح ذلك .

والجواب واضح ، فإن الإسلام دين اختاره أحكم الحاكمين ورب العالمين ، وهو كما يراعي المصالح الاجتماعية ، ويأمر لذلك باعتبار الكفاءة في النكاح ، كذلك يراعى في جانب آخر المصالح الشخصية التي تتطلب فتح باب الزواج مع الكتابيات ، فإن من الممكن أن يستولى على قلب أحد من المسلمين حب امرأة كتابية ، ثم يرى باب تحقيق غايته وهواه منسداً مغلقاً فيميل إلى الزنا والفحشاء ، ومن الممكن أن يكون المسلم يعيش في مكان لا يتوافر له فيه إلا المرأة الكتابية ، وكان يشعر في العزوبة والتجرد بخطر فساد الأخلاق وانحلالها والوقوع في الحرام .

فنظرا لي مثل هذه الأوضاع وشعوراً بهذه الأخطار فتح الشارع باب الزواج مع الكتابيات ، وأباح ذلك وشرط شروطاً منها : أن لا تتعرض المصالح الاجتماعية للمضار والأخطار ، وإن هذه الإباحة للزواج مع الكتابيات خاص بالرجال المسلمين ، أما النساء المسلمات ؛

فلا يجوز لهن الزواج مع الرجال الكتابيين ، و سبب في ذلك أن امرأة تكون أكثر انفعالاً وانصباغاً في قالب الآخر . وتأثر بالسنة والجو والظروف ، فلو أبيح للمسلمة الزواج مع الكتابي لكان من اللازم أن تنقطع عن الإسلام والحضارة الإسلامية ؛ وتكون ذريته كافرة ، ولذا نهى الإسلام عن ذلك نهياً باتاً ، ورخص الإسلام للمسلمين فقط أن يتزوجوا مع الكتابيات لا مع المشركات ، فإن المشركات أبعد عن الإسلام والحضارة الإسلامية كثيراً ، ولا توافق بين الشرك والإسلام في العقائد والأخلاق والاجتماع ؛ وأصول الحياة شيئاً . أما الكتابيون فهم ، وإن كانوا غير مسلمين لكنهم أقرب من الإسلام بالنسبة إلى المشركين بسبب عقائدهم نحو الله والآخرة ، وكونهم حاملين الكتاب السماوي واتباع الأنبياء ، رغم جميع تحريفاتهم وضلالاتهم .

فالإسلام فرق بين المشركين والكتابيين ، ونهى عن ربط أواصر الزواج مع المشركين قائلاً : ﴿ وَلاَ تَنْكِحُوْا الْمُشْرِكَاتِ * حَتَّى يُؤْمِنَّ * وَلأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ * وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ * وَلاَ تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِيْنَ * حَتَّى يُؤْمِنُوْا * وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ * وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ * أُوْلَئِكَ يَدْعُوْنَ إِلَى النَّارِ * وَاللهُ يَدْعُوْ إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ ﴾ (البقرة/٢٢١) .

وفي جانب آخر ؛ فقد أباح الإسلام للرجال المسلمين أن يتزوجوا مع الكتابيات ، وأشار مع ذلك إلى أن هذا الأمر خطير ، والرخصة في ذلك ؛ لكي يتجنب المسلم عن الوقوع في الفحشاء ، كما ورد في سورة المائدة ، وقد سبق ذكرها .

والعارفون لروح الشرع الإسلامي ما زالوا يرون هذه الإباحة رخصة شرعية ، و يكرهون الرواج العام لتزوج المسلمين مع الكتابيات ، وعلى رأسهم سيدنا عمر ؛ الذي ألقى الله الحق والحكمة

على رأسه وقلبه ، وكان عصره عصر ازدهار الإسلام وغلبة المسلمين ، وكان كتب إلى سيدنا حذيفة ؛ الذي كان من أجلة أصحاب الرسول الكريم ﷺ ؛ والمتعلمين في مدرسة النبوة ، وصاحب سر الرسول الكريم ﷺ ، ومنعه عن الزواج مع الكتابيات بالنظر إلى الأخطار الدينية .

فانظروا وخاصة حينما أصبح المسلمون مغلوبين ومتورطين في شباك غير المسلمين ، وحقاً تزداد كراهة الزواج مع الكتابيات في عصرنا هذا ، يكتب المرغيناني : "ويجوز تزويج الكتابيات ، والأولى أن لا يفعل ، ولا يأكل ذبيحتهم إلا للضرورة ، وتكره الكتابية الحربية إجماعاً لانفتاح باب الفتنة من إمكان التعلق المستدعى للمقام معها في دار الحرب وتعريض الولد على التخلق بأخلاق أهل الكفر" (١٢) .

فاتضح أن الزواج مع الكتابيات جائز مباح ، ولكن كراهته بالنظر إلى روح القانون الإسلامي ، وصيانة المجتمع الإسلامي عن اللادينية ، وخاصة في عصرنا هذا أظهر وأرجح ، ومن اللازم للمسلم أن يراعى أمرين :

١- أن تكون الكتابية عفيفة محصنة .

٢- أن لا يتعرض المسلم بالزواج معها للخطر في إيمانه ودينه.

ومن أهم مسئوليات المسلم المتزوج مع الكتابيات أن يشترط عليها بالتجنب عن سائر المحرمات من شرب الخمر ، وأكل الخنزير والسفور ، والاختلاط مع الأجنبيين ، فلو لم يفعل ذلك لكان أكبر متساهل في الدين غير مبال بمبادئ الإسلام ، بعيداً عن روح الشريعة الإسلامية ، وليس خطر أكبر من ذلك ، ونعوذ بالله من ذلك ، وهو العلي القدير .

---

(١٢) الهداية ؛ للمرغيناني : كتاب النكاح .

دراسات وأبحاث :

موقف الإسلام من الشعر

بقلم : الأستاذ محمد نعمة الله محمد إدريس الندوي

أريد بهذا التمهيد أن ألقي الضوء على صلة الشعر بالدين والعقيدة عامة ، ثم بالإسلام خاصة ، وما موقفه منه ؟ وما هي الرسالة التي قام بها في صدر الإسلام ؟ لكي نعرف مدى صلاحيته لخدمة الدعوة الإسلامية .

● صلة الشعر بالدين والعقيدة :

لقد ارتبط الأدب بالدين والعقيدة منذ القديم عندما كان الكهّان - وهم من أقدم الأدباء - ينظمون الأناشيد الدينية (١) ، وما زال مواكباً لها سواء كانت زائفة ؛ أو صحيحة حقة ، "فلم تخل أعماله الأديب أو الفنان - في أيّ وقت من أن تكون كذلك تعبيراً عن عقيدة كائناً ما كانت هذه العقيدة" (٢) .

ولذلك نجد عند اليونان والرومان ، وهم الأمم العريقة في الشعر والأدب ، أن شعرهم يدور حول الآلهة ، وما خلفوه من شعر ديني ليس بالقليل لكثرة آلهتهم الذين تنوعت أسماءهم واختصاصهم ، وكثرة ما كان بينهم من تشاحن وحروب ، وتبادل الشتائم والارتشاء لاقتسامهم على مناصرة فريقين متحاربين من الناس ، ثمّ ما كان من تدخّلهم في شئونهم ، ثمّ ما كانوا يتحرّجون في اختطاف زوجاتهم وبناتهم واتصالهم بهن اتصالاً محرماً (٣) .

لقد بزغ فجر الإسلام بين قوم امتلكوا ناصية الشعر والأدب ، وامتازوا ببلاغة القول ، وفصاحة اللسان ، فكان من الطبيعيّ أن يكنف الإسلام الشعر لخدمة رسالته ، ويطوّعه للذود عن حوض

الدعوة الإسلامية ، ورد هجمات أعدائها ، وبثّ روح الجهاد والمناضلة في أبنائها ، كما ساهم في إعلاء كلمتها ونشرها في أقاصي الأرض وأدانيها ، وكيف لا يمثل الشعر بصفة خاصة هذا الدور الهام ، وهو كما أشرنا إليه ، مفخرة القوم وديوانهم ، ومن أخصّ خصائصهم التي يعرفون بها بين الشعوب ، فكانوا مطبوعين على الشعر إلى حد كأنه سحرهم وملكهم وسيطر على عقولهم ومشاعرهم ؛ فيجري الكلام البليغ والبيان الرائع على ألسنتهم شعراً كماء متدفق ، لا يعوقه عائق ولا يقوم دونه حاجز ، وتباهوا أمام الشعوب فسمّوا أنفسهم العرب وغيرهم العجم .

ولما كانت الفصاحة والبلاغة والبيان يأخذ بألبابهم ، ويأسر قلوبهم وعقولهم نزل القرآن الكريم فيهم على نبيّنا ﷺ لمعجزة بيانية ، ومثلاً أعلى للبلاغة والفصاحة ، وسموا البيان ، حيث جرى من سنة الله أن يؤتي كل نبي معجزة فيما اشتهر به قومه ، حتى يدركوا حقيقة قدرتهم البيانية ، وحقارة ما يأتون به أمام الإعجاز القرآني مع أنه لم يكن شعراً ، فبُهت فصحائهم وبلغاءهم ، واندهشوا لمّا سمعوا من درر آياته ، وتحدّاهم الله أن يأتوا بمثله ولو آية (٤) ، فعجزوا وتقطّعت دونه آمالهم ، وسجدوا خاشعين أمام أسلوبه الساحر الجامع بين القوة و الجزالة ، والسلاسة والعذوبة ، المتّسم بسموّ الروح وجلالها ، وإشراق البيان ؛ وجمال الديباجة ، وعبقرية التصوير والتعبير ؛ وروعة الأداء .

● ٢- الشعر بعد المرحلة الانتقالية :

قد أحدث الإسلام انقلاباً عظيماً في حياة العرب ، وخاصة في عقيدتهم التي انقلبت رأساً على عقب ، وتغيّرت المبادئ والمفاهيم ، و تبدّلت القيم والمقاييس ، فكان للدين الجديد وقع عظيم في نفوسهم ، ولكن ما إن استقر بالمسلمين الحال ؛ حتى عادوا إلى مضمارهم

البلاغي من جديد إلا أن الأمر لم يكن كسابقه ، فالشعر في الجاهلية لا يحدّه حد ، ولا يقيّده قيد ، ينتهب كل معنى يعنّ له ، ويقتنص كل فكرة تتهيّأ أمامه ، فكان يتغنّى بالنخوة الجاهلية ، ويتفاخر بالأنساب والأحساب ، ويثير العصبية ، ويحرّض الناس على الاقتتال والتناصر ، ويصف المرأة أقبح وصف أحياناً ، ويهتّك الأعراض والحرمات ، فكان بذلك معاول الهدم والدمار .

ثم جاء الإسلام بدعوة التعالي عن هذه الرذائل والالتزام بالعفة في العقول والدعوة إلى الإخاء والمحبة والمساواة ، وفرض عليهم صيانة الحرمات ، والامتناع عن كلّ موبقة ، والكفّ عن كل ما يثير كوامن الضغائن والأحقاد ، ويذكرهم بالحروب والأيام ، وأوجب عليهم الترفع عن كل ما يؤذي نفس مسلم : "المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده" (٥) ، وحظر عليهم مزاعمهم الجاهلية ونزعاتهم الباطلة من النخوة والعصبية : "دعوها فإنها منتنة" (٦) ، كما حذّرهم من الإلمام بما يجرح المشاعر ، ويلهب دفائن النفوس ، وهداهم إلى التآلف والتآزر والتواد والتعاون : "ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادّهم وتعاطفهم ؛ كمثل الجسد ، إذا اشتكى منه عضو ؛ تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى" (٧) .

إذن حدث انقلاب خطير ، وتحوّل عظيم في روح الشعر ومعانيه وألفاظه وأغراضه ، فأخذ يستمدّ غذاءه وروحه من قيم الإسلام النبيلة ، ومعاني القرآن السامية ، ويتأثر بأسلوبه وألفاظه ، فأكسبه قوة وروعة في الأسلوب ، ورقة وعذوبة في الألفاظ ؛ كما تغيّرت أغراضه من المبالغة في المدح والمجون ، والاستهتار في الغزل ، والاستنهاض للعصبية والأخذ بالثأر ، إلى الدعوة إلى الإسلام والمنافحة عنه ، ومكافحة خصوم الرسول الحبيب ﷺ ، والردّ على

أباطيلهم ، والترغيب في التخلّق بالأخلاق الفاضلة . والاعتزاز بالإسلام والتفاني في سبيله ، والتغني بنعم الله ، وفضله وكرمه وإحسانه (٨) .

● ٣- ردّ شبهات :

قبل أن نستعرض دور الشعر في معركة الدعوة الإسلامية نودّ أن ندفع بعض الشبهات ، يتبيّن من خلاله موقف الإسلام من الشعر؛ فيرى ابن خلدون أن الشعر توقف في عصر صدر الإسلام ؛ إذ يقول : "انصرف العرب عن الشعر أوّل الإسلام بما شغلهم من أمر الدين ؛ والنبوّة ؛ والوحي ، وما أدهشهم من أسلوب القرآن ونظمه ، فأخرسوا عن ذلك ، وسكتوا عن الخوض في النظم والنثر زماناً ، ثم استقرّ ذلك ، وأونس الرشاد من الملّة ، ولم ينزل الوحي في تحريم الشعر وحظره ، وسمعه النبي الكريم ﷺ ؛ وأثاب عليه ، فرجعوا حينئذ إلى ديدنهم منه" (٩) ، وتابعه في زعمه كثير من المعاصرين من المستشرقين وغيرهم ، وعلى رأسهم جرجي زيدان (١٠) .

وزعمهم هذا يؤدي إلى اتهام الإسلام بأنه كان سبباً في انصراف الشعراء عن الشعر ، وتجميد قرائحهم .

والحقيقة أن كتب الأدب والتاريخ تذخر بما قرضه الشعراء في هذه الفترة ، ممّا يدل على أن الشعر ظلّ مزدهراً على شاكلته في الجاهلية ، من حيث كثرته وشيوعه ، ويشهد ذلك ما يحتويه كتب الأدب والتاريخ من الأغاني ، والطبري ، وسيرة ابن هشام ، وكتب الصحابة مثل الإصابة ، والاستيعاب ، والمفضليات ، والأصمعيات ، والشعر والشعراء ، فنجد في هذه الكتب ثروة كبيرة للشعر ، بحيث توصلنا إلى أن الشعر كان متدفقاً على كل لسان (١١) .

يقول الدكتور يحيى الجبوري : "إن الشعر كان فيها (فترة النبوة) زاهياً قوياً ، كثير الفنون ، واسع الإغراض ، دفعه الإسلام في

دعوته و وجّهه في أغراضه" (١٢) .

ويقول شوقي ضيف : "لعلّ الذي دفع ابن خلدون إلى كلامه السابق ما جاء عند ابن سلام ، وتناقله الرواة بعده من قوله : "فجاء الإسلام وتشاغلت عن الشعر العرب ، وتشاغلوا بالجهاد وغزو فارس والروم ، ولهت العرب عن الشعر وروايته ، فلما كثر الإسلام ، وجاءت الفتوح واطمأنت العرب بالأمصار ؛ راجعوا رواية الشعر ، وينقض قوله ما تحمله كتب الأدب والتاريخ من منظومات كثيرة ، وأسماء ناظميه" (١٣) .

وربما نشأت شبهة تحوّل العرب عن الشعر ، عن مهاجمة القرآن الشعراء في قوله تعالى : ﴿ وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الغَاوُوْنَ * أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِيْ كُلِّ وَادٍ يَّهِيْمُوْنَ * وَأَنَّهُمْ يَقُوْلُوْنَ : مَا لاَ يَفْعَلُوْنَ * إِلاَّ الَّذِيْنَ آمَنُوْا وَعَمِلُوْا الصَّالِحَاتِ ... ﴾ (١٤) على أن الإسلام لم يثبطّ عن الشعراء مطلقاً ؛ بل القرآن الكريم هاجم نوعاً معيّناً من الشعراء الذين لا يتمنعون عن فحش الكلام ، وقول الزور ، وكشف الأستار ، وخاصة هؤلآء المشركين الذين كانوا يهجون الرسول الأعظم ﷺ : "لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحا يريه خير له من أن يمتلئ شعراً" (١٥) ، لكنه وهو في الذروة السامقة من البلاغة يعجب بالشعر الجميل إذا كان فيه تهذيب ، ودعوة إلى الفضيلة ، وموعظة ، وتدعيم لمبادئ الدين القيمة ، وكان يسمعه ، ويطالب روايته ، ويقول عندما يسمع بعض روائعه : "إن من البيان لسحراً" (١٦) ، فالشعراء الذين يستكنفون المعاني النبيلة ، والمضامين الصالحة الهادفة ، والمقولات الحكيمة في أشعارهم ، هم المقصودين بالاستثناء في قوله تعالى : ﴿ إِلاَّ الَّذِيْنَ آمَنُوْا * وَعَمِلُوْا الصَّالِحَاتِ ﴾ ، ومنهم شعراء النبي الكريم ﷺ الذين كانوا يتصرون له ، ويجيبون المشركين" (١٧) .

كذلك الآية الكريمة : ﴿ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ * وَمَا يَنْبَغِيْ لَهُ * إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ * وَّقُرْآنٌ مُّبِيْنٌ ﴾ (١٨) هي عند بعض الناس منشأ شبهة ذم الشعر ، فيجعلونها دليلاً على أن الإسلام ينتقص من قدر الشعر والشعراء ، فإذن موقفه من الفن موقف خصومة ومعاداة ، والحقيقة أن تنزيه الله تعالى لرسوله الكريم ﷺ عن أن يكون شاعراً ينظم الشعر ، لا صلة له بذم الشعر ، ولا بتحقير الشعراء ؛ وإنما الله باعد بين الرسول الكريم ﷺ ، وبينه لأسباب أخرى ، أهمها : أن العرف جرى عند العرب أن للشعر والشعراء صلة بالشياطين ، فلكلّ شاعر شيطان من الجن ، يوحي إليه بما يقوله من الشعر ، فدفع الله تهمة اتصاله عليه الصلاة والسلام بالشياطين ؛ حتى لا يطرأ شك من قريب أو من بعيد على اتصاله ﷺ بالله ، وكون القرآن الكريم منزلاً من الله ، قال الله-تعالى : ﴿ قُلْ : هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِيْنُ * تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيْمٍ ﴾ (١٩) ، وأضف إلى ذلك ما قاله المشركون ، فإنهم يحاولون دائماً أن يلصقوا صفة الشاعرية بالرسول الكريم ﷺ ؛ ليعقدوا الصلة بينه وبين علم الجنّ والشياطين .

ثم طبيعة النبوة وطبيعة الشعر مختلفتان من الأساس : "النبوة اتصال دائم بالله وتلق مباشرة من وحي الله ، ومحاولة دائمة لرد الحياة إلى الله ، بينما الشعر - في أعلى صوره - أشواق إنسانية إلى الجمال والكمال ، مشوبة بقصور الإنسان وتصوراته المحدودة ، فهذه في أعلى صورها أشواق تصعد من الأرض ، وتلك في صميمها هداية تتنزّل من السماء" (٢٠) .

فالإسلام موقفه أمام كل شئ واضح وجليّ ، وكذلك الفن والشعر والشعراء ، فلا يردّ ولا يرفض من الفن إلا إذا وقف معارضاً لدعوته ، أو كان ذريعة لغرض فاسد ، يقول الأستاذ يحيى الجبوري

موجزاً هذه الحقيقة : "إن القرآن لم يحظر الشعر ، ولم ينف دونه ولكنه نزّه نفسه عن أن يكون شعراً ، ورفع رسوله عن أن يكون شاعراً ، وفرق بين شعر وشعر ، وبين شعراء وشعراء" (٢١) .

● ٤- رسالة الشعر ودوره في خدمة الدعوة :

وننتقل إلى رسالة الشعر ودوره في مساندة الدعوة الإسلامية مما سيوضّح هذا الموقف أكثر ، فلما انتقلت الدعوة إلى المدينة المنورة حفاظاً على كيانها من كيد الأعداء وشرورهم ، زادهم ذلك حقداً وعناداً وبغضاً، واستخدموا كل أساليب المقاومة للقضاء على الدعوة ، وقد ضمّوا سلاح الشعر إلى السنان ؛ لتحقيق غايتهم ، وليكن الرسول الكريم ﷺ على قدم وساق لمواجهة الأعداء ، فجعل الشعر سلاحاً ماضياً في وجودهم في جنب السيف ، حيث دعا أصحابه قائلاً : "اهجوا قريشاً ؛ فإنه أشدّ عليهم من رشق النبل" (٢٢) ، وخاطب حسّاناً ﷺ بقوله عليه الصلاة والسلام : "اهج المشركين ، فإن جبريل معك" (٢٣) ، فانبرى لهم حسّان ﷺ بسيف لسانه ، و وقف بجانبه كعب بن مالك ، وعبد الله بن رواحة رضي الله عنهما ، وبمجرد أن اشتبكت السيوف أخذ الشعراء في الجانبين المتناقضين يسلّون ألسنتهم ، وكان في المشركين ثلاثة من لمعت أسماءهم فيمن يسدّدون سهام الهجاء إلى الرسول الكريم ﷺ وأصحابه ، ويصدّون بقولهم عن سبيل الله : أبو سفيان بن الحارث ، وعبد الله بن الزبعري ، وعمرو بن العاص ، فجعل حسان بن ثابت ﷺ يكافئهم بالمثل ، فكان يهجوهم بإرشاد أبي بكر ﷺ (٢٤) ، فيقع عليهم كالسهام ؛ كما قال النبي الكريم ﷺ واصفاً حساناً ﷺ : "هجاهم حسّان فشفى واستشفى" (٢٥) ، وذلك لما كان يهجوهم بالأيام ، ويعيّرهم بالمثالب والأنساب ، فيتألمون تألم اللديغ لكفرهم وشركهم ، وكان كعب بن

مالك ﷺ ينهج منهج حسّان في الردّ والمعارضة ، فيهجنهم بالأيام والوقائع والمعايب ، وكان عبد الله بن رواحة ﷺ يعيّرهم بالكفر ، فكان في ذلك الزمان أشد القول عليهم ، قول حسّان ، وكعب رضي الله عنهما ، وفقهوا ، كان أشد القول عليهم قول ابن رواحة ﷺ (٢٦).

ولنستمع إلى أبيات حسّان التي تحدّى بها أبا سفيان بن الحارث ، عاتباً إياه بالجبن :

ألا أبلغ أبا سفيان عني
فأنت مُجوّفٌ نَخِب هَواء
هجوت محمداً فأجبت عنه
و عند الله في ذاك الجزاء
فإنّ أبي و والدتي و عرضي
لعرض محمد منكم وِقاء
أتهجوه و لست له بكفء
فشرّكما لخيركما الفداء (٢٧)

و في ذلك ما فيه فخراً أن سمّي بشاعر الرسول والإسلام ، حيث كان أحسن الثلاثة ، أكثرهم ذكاءً ودفاعاً عن الحق ، وأكبرهم مدحاً للرسول الكريم ﷺ ، وأقذعهم هجاء لقريش قبل إسلامهم .

وفي كل ذلك ، لم يكن بعيداً عن تعاليم الإسلام ، وروحه ومعانيه ، فكان يناضلهم بشعره ، مستوحياً من معاني القرآن ، ومبادئ الإسلام ؛ حتى في هجائه ، كما قال في بعض أهاجيه لقريش ، يعيّرها فيها بهزيمتها يوم بدر :

فينا الرسول وفينا الحق نتّبعه
حتى الممات و نصرٌ غيرُ محدود
مستعصمين بحبل غير منجذم
مستحكم من حبال الله ممدود (٢٨)

ويقول معتزّاً برسالة رسول الله ﷺ ، وقيام أصحابه بالطاعة والنصرة لدين :

و جبريل أمين الله فينا
و روح القدس ليس له كفاء (٢٩)

وأجاد عدة مراتٍ في رسول الله . عندما أجاب نداء ربه ، ومنها هذا البيت الذي يتجلّى فيه المعنى الإسلامي المبين :

و ما فقد الماضون مثل محمد
و لا مثله حتى القيامة يُفقد (٣٠)

وما أحسن مدح الرسول الحبيب ﷺ في هذين البيتين :

و أحسن منك لم تر قطّ عيني
و أجمل منك لم تلد النساء
خُلِقت مبرّءً من كل عيب
كأنك قد خلقتَ كما تشاء (٣١)

وكان للشعر دور رائع في نشر الإسلام ، وإقبال القبائل على اعتناقه ، كما حدث حين قدم على الرسول الأعظم ﷺ وفد بني تميم ، فردّ حسّان على شاعر هذا الوفد ، الزبرقان بن بدر الذي تفاخر بقدمه وكرمهم وشجاعتهم ، مادحاً للمهاجرين مدحاً رائعاً ، فكان سبباً في إسلامهم ، فقال في قصيدة طويلة :

إن الذوائب من فهر و إخوتهم
قد بيّنوا سنّة للناس تُتّبع (٣٢)
يرضى بها كل من كانت سريرته
تقوى الإله ، و بالأمر الذي شرعوا
أعفّة ذكرت في الوحي عفّتهم
لا يطبعون و لا يُرديهم طمع (٣٣)

أعطَوا نبيَّ الهدى و البرّ منهم
فساوى نصرهم عنه و ما نزعوا (٣٤)

ولم يقتصر الشعر على مواجهة قريش فقط ، بل تصدّى لكل أعداء الإسلام من المنافقين واليهود حينما وقفوا في جانب قريش وآزروهم ، وقد اتفق يهود يثرب مع قريش في حربها ضد المسلمين لسنا وسناناً ، حينما كانوا يحرّضون العرب ، ويألبونهم على رسول الله ﷺ بأشعارهم ، ومن أبرزهم كعب بن الأشرف اليهودي الذي دفعه العداوة للرسول الكريم ﷺ ، والمسلمين إلى رثاء قتلاهم في معركة بدر رثاء ، يثير الحفيظة ، ويدعو إلى الثأر ، فقال :

طحنتْ رحى بدر لمهلك أهله
و لمثل بدرٍ تستهلّ و تدمع (٣٥)

ويهيب بالحارث بن هشام أن يأخذ ثأرهم :

ليزور يثرب بالجموع و إنّما
يحمي على الحسب الكريم الأروعُ (٣٦)

وقد أجابه حسان في صورة ساخرة ، بدأها بالدعوة عليه والازدراء ممّن رثاهم :

أبكى لكعب ثمّ عُلّ بعبرة
منه و عاش مُجدّعا لا يسمع (٣٧)
و لقد رأيت ببطن بدر منهم
قتلى تَسُحُّ لها العيون و تدمع (٣٨)
فأبكى فقد أبكيت عبداً راضعاً
شبه الكُلَيب إلى الكلية يتبع (٣٩)

يقول عبد الرحمن خليل : "والتعبير بشبه الكليب إلى الكلية يتبع يحكي الاستهجاء والذم ، إذ جعل كعب وقريشاً ؛ ومن رثاهم

كلاباً، يجري بعضهم وراء بعض لنزوة حيوانية" (٤٠).

وكان الشعر يعرض لكل مناسبة تظهر، ولكل حادث يحدث على مسرح الصراع بين الكفر والإسلام، ومن هنا أثارت معركة بدر شاعرية شعراء الإسلام لإذاعة الانتصار، والإشادة بالبطولات الإسلامية، والتمجيد لأصحاب المآثر، فعارض كعب بن مالك قصيدته الرائعة قصيدة ضرار بن الخطاب الذي يعترف بالهزيمة في بدر، ولكن يتغلّب عليه الروح القبلية، فما كانت الهزيمة من الأنصار من الأوس والخزرج؛ وإنما كانت من قريش، فجاء كعب بن مالك بقصيدة تنمّ عن روح إسلامية أصيلة، وتترجم عن إيمان بالله عميق، وثقة مطلقة في نصره، فقال:

عجبتُ لأمر الله والله قادر
على ما أراد ليس لله قاهر
قضى يوم بدر أن نلاقي معشراً
بغوا سبيل البغي بالناس جائر
فلما لقيناهم و كل مجاهد
لأصحابه مستبسلَ النفس صابر
شهدنا بأن الله لا ربّ غيره
و أن رسول الله بالحق ظاهر
فكُبّ أبو جهل صريعاً لوجهه
و عتبة قد غادرتَه و هو عاثر (٤١)

وكان هذا جزاءهم في الدنيا بسبب الكفر بخالقهم، والتكذيب لرسوله ﷺ، وسينالون أنكى جزاء في الآخرة حيث مصيرهم جهنم وسوء المآب، فقال:

فأمسوا وقودَ النار في مستقرّها
و كلّ كَفُور في جهنم صائر

ومن أبرز شعر الإسلام عبد الله بن جحش ﷺ يردّ مزاعم الكفار حين ادعوا أن النبي الكريم ﷺ؛ قد انتهك حرمة الشهر الحرام:

عدّوا قتالا في الحرام عظيمة
و أعظم منه لو يرى الرشد راشد
صدودكم عما يقول محمد
و كفر به، والله راء و شاهد (٤٢)

ونلتمس في أبياته هذه معنى الآيات القرآنية واضحاً جلياً؛ حيث قال الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ: قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ۖ وَكُفْرٌ بِهِ ۖ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۖ وَ إِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ ۖ وَ الْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ ﴾ (٤٣).

وهكذا كان شعر عصر النبوة وعصور الخلفاء التي تلته، ملتزماً بوظيفته، موجهاً لخدمة العقيدة والدين والحياة. ثمّ انحرف عن جادته ورسالته فيما بعد، ولكنه لم يتخلّ كلياً عن واجبه عبر العصور. بل ظلّ يقوم به عن طريق رجال خلّفوا ثروة هائلة في الأدب الإسلامي... وما أشد حاجتنا اليوم إلى هذا التراث العظيم.

الهوامش:

(١) انظر: "الإسلامية والمذاهب الأدبية"؛ الدكتور نجيب الكيلاني: ص/١٦-١٧، ط/٢، سنة ١٩١٨م (مؤسسة الرسالة بيروت)، "شوقي شعره الإسلامي"؛ دمهاير حسن فهمي: ص/١٦، ط/٢ (دار المعارف مصر).

(٢) انظر: "الشعر في إطار العصر الثوري": ص/١٧، نقلاً عن "الأدب في خدمة الحياة والعقيدة"؛ عبد الله العويشق: ص/١١، ط/١، سنة ١٩٧٠م (كلية اللغة الرياض).

(٣) راجع للتفصيل: "الأدب المقارن"؛ د/محمد غنيمي هلال: ص/١٤٤ وما بعدها. خاصة ما تحتوي هذه الصفحات من تلخيص؛ للملحمتي "أوديسيا" و

"الإليادة" ، ط/٢ (دار النهضة مصر) ، وكذلك انظر : "شوقي : شعره الإسلامي" ؛ د/ماهر حسن : ص/١٦ وما بعدها ، و "الإسلامية والمذاهب الأدبية" ؛ د/نجيب الكيلاني : ص/١٧ .

(٤) قال الله تعالى متحديا في سورة الإسراء : ﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ (الآية/٨٨) .

(٥) رواه البخاري من حديث عبد الله بن عمرو ﷺ "مشكاة المصابيح" : رقم/٦.

(٦) متفق عليه من حديث جابر ﷺ "البخاري : ٤٩٠٥" ، و "مسلم : ٢٥٨٤" .

(٧) متفق عليه من رواية النعمان بن بشير ﷺ "مشكاة المصابيح : ٤٩٥٣" .

(٨) انظر : "الحياة الأدبية في عصر صدر الإسلام" ؛ لعبد المنعم خفاجي : ص/٧٥-٧٦ ، ثم/١٦١ وما بعدها ، ط/٣ ؛ سنة ١٩٧٣م (دار الكتاب اللبناني بيروت) .

=العصر الإسلامي لشوقي ضيف : ص/٦٨ ، ط/٣ (دار المعارف مصر) .

= الأدب العربي وتاريخه لمحمد الجنيدي . ص/١٨ (مطابع الرياض ١٣٦٦هـ) .

= تاريخ الأدب العربي لعمر فروخ : ج/١ ، ص/٥٨ ، ط/٣ ، سنة ١٩٧٨م (دار العلم للملايين بيروت) .

٩) مقدمة ابن خلدون : ص/٣٣٢ ، ط/١ (المطبعة الخيرية القاهرة) .

(١٠) انظر: "تاريخ آداب اللغة العربية" ؛ لجرجي زيدان : ص/١٨٩، الجزء الأول ، ط/٢ ، سنة ١٩٧٨م (دار مكتبة الحياة بيروت) ، و "تاريخ الأدب العربي" ؛ لعمر فروخ : ج/١ ، ص/٢٥٧-٢٥٨ ، ط/٣ ، سنة ١٩٧٨م (دار العلم للملايين بيروت) ، و "العصر الإسلامي" ؛ لشوقي ضيف : ص/٤٢-٤٣ (دار المعارف مصر) .

(١١) "العصر الإسلامي" ؛ لشوقي ضيف : ص/٤٢-٤٣ .

(١٢) "الإسلام والشعر" : ص/٣٣ ، نقلاً عن "الأدب في خدمة الحياة والعقيدة" ؛ لعبد الله العويشق : ص/١٠٠ .

(١٣) "العصر الإسلامي" : ص/٤٣-٤٤ . (١٤) سورة الشعراء ، الآية/٢٢٧ .

(١٥) متفق عليه من رواية أبي هريرة ﷺ ، "مشكاة المصابيح : ٤٧٤٩" ، وبريه : من الوري أي يه .

(١٦) البخاري من رواية ابن عمر رضي الله عنهما ؛ "مشكاة المصابيح : ٤٧٨٣" .

(١٧) انظر : "العمدة" ؛ لابن رشيق : ج/١ ، ص/٣١ ؛ تحقيق محمد محي الدين عبد

الحميد (دار الجيل بيروت) .

(١٨) سورة يس ، الآية/٦٩ . (١٩) سورة الشعراء : ص/٢٢١-٢٢٢ .

(٢٠) "في ظلال القرآن" ؛ لسيد قطب لدى تفسير الآية المعنية .

(٢١) "الإسلام والشعر" : ص/٤٤؛ نقلاً عن "الأدب في خدمة الحياة والعقيدة" ؛ عبد الله العويشق : ص/١١٠ .

(٢٢) رواه مسلم من حديث عائشة رضي الله عنها : "مشكاة المصابيح : ٤٧٩٠" .

(٢٣) متفق عليه من حديث البراء ﷺ : "مشكاة المصابيح : ٤٧٨٩" .

(٢٤) انظر : "الأغاني" ؛ للأصفهاني : ج/٤، ص/١٣٩ (طبعة دار الكتب المصرية) .

(٢٥) رواه مسلم من حديث عائشة رضي الله عنها : "مشكاة المصابيح : ٤٧٩١" .

(٢٦) انظر : "الأغاني" ؛ للأصفهاني : ج/٤ ، ص/١٣٧ .

(٢٧) "ديوان حسان" : ص/٩ (دار الباز للنشر والتوزيع - مكة المكرمة ، سنة ٩٧٨ م . خوف : يعني به الجبان ، والنخب والهواء بنفس المعنى .

(٢٨) "ديوان حسان" : ص/٤٨ ، (منجذم : منقطع) .

(٢٩) نفس المصدر : ص/٨٧ . (كفاء : كفء ونظير) .

(٣٠) نفس المصدر : ص/٥٦ . (٣١) نفس المصدر : ص/١٠ .

(٣٢) الذوائب : الأعالي في الشرف ، فهر : قريش يعني المهاجرين .

(٣٣) لا يطبعون : لا يتدنسون . (٣٤) "ديوان حسان" : ص/١٤٥ .

(٣٥) "السيرة النبوية" ؛ لابن هشام ؛ تحقيق طه عبد الرؤوف سعد : ج/٣ ، ص/٣١٩ (دار الجبل بيروت) ط/١ ، سنة ١٩٩١م .

(٣٦) نفس المصدر السابق : ج/٣ ، ص/٣١٩ ، الأروع : من يبهرك حسنه .

(٣٧) المعلل : الشرب بعد الشرب - واستعير لمداومة البكاء .

(٣٨) السح : الصبّ الكثير.

(٣٩) "السيرة النبوية" ؛ لابن هشام : ٣٢٠/٣.

(٤٠) "دور الشعر في المعركة الدعوية الإسلامية" ؛ لعبد الرحمن خليل (الشركة الوطنية للتوزيع الجزائر) ط/٢ ، سنة ١٩٧١م .

(٤١) "السيرة النبوية" ؛ لابن هشام : ج/٣ ، ص/٢٨٢ .

(٤٢) "السيرة النبوية" ؛ لابن هشام : ج/٣ ، ص/١٥١ .

(٤٣) سورة البقرة ، الآية/٢١٧ .

الشاعر الكويتي : خليفة الوقيان

بقلم : الدكتور محمد إقبال حسين الندوي

الكويت ذلك الكيان العربي الصغير بمساحته ، العظيم بعطاء أبنائه في كافة المجالات ، والذي يحتل بقعة صغيرة من الوطن العربي الكبير المترامي الأطراف من المحيط إلى الخليج ، وكلمة كويت : كما هو معروف تأتي من كلمة "كويت" ويعني بها القلعة الصغيرة ، قطنت هذه المنطقة منذ فترة طويلة قبيلة "عنزة" التي قد تفرعت من بني تغلب بن وائل ، تلك القبيلة التي كانت معروفة في الجاهلية ، وكانت من قبيلة "عنزة" و هم آل الصباح و آل خليفة و الجلاهمة ، وسميت هذه القبائل بعد هجرتها إلى الخليج باسمه العتوب ، وتأتي هذه التسمية كون هذه القبائل كانت كثيرة الهجرة والترحال . وقال بعض المؤرخين أيضاً : بأنه هذه التسمية جاءت من (عتب الباب) ، وقد سموا بذلك لأنهم عتبوا (أي دخلوا) الكويت .

(الكويت تواجه الأطماع ، د.يعقوب يوسف الغنم ، مركز البحوث والدراسات الكويتية ١٩٩٨م)

ونحن هنا ، ليس بصدد البحث عن تاريخ الكويت وكيفية نشأة هذا الكيان الصغير ، ولكن ما يهمنا نحن كدارسي الأدب العربي ، ماذا أفرزت لنا الكويت من أدب أثر وتأثر بحركة الأدب العربي في الوطن العربي ، و ما جاءت به قريحة أبنائه في ازدهار الأدب في ذلك البلد .

لا يجاوز الحقيقة إذا جزمنا بأن الأدب الكويتي يعتبر مقارنة بالأدب في البلدان العربية الأخرى حديث العهد ، وإن كانت له جذور

سابقة في المجال لذا نعده نحن كباحثين في الأدب العربي أدباً ناشئاً ، ونربطه ربطاً مباشراً بفترة ظهوره على السطح بفترة الاستقلال ، وذلك في مصنع الستينات ، ثم بعد ذلك تظهر ملامحه جلياً بعد الطفرة الاقتصادية الهائلة التي شهدتها الكويت عقب تدفق النفط من أراضيها .

قبل اتعمق في الحديث عن الألوان الأدبية الحديثة التي ظهرت في الكويت بعد الستينات والسبعينات يحسن بنا أن نرجع قليلاً إلى الوراء لنلقي ضوءاً بسيطاً عن حال الأدب والشعر قبل هذه الفترة .

الأدب ... ، الشعر ... ، القصة ... ، كلها مفردات عرفها الإنسان العربي منذ أزمان طويلة ، و الإنسان الكويتي قد تعاطى الأدب والشعر ، ولكنه كان شعراً "نبطياً" أي لم يكن باللغة العربية الفصحى ، وهذا الشعر يعتبر حتى الآن إرثاً ثقافياً كبيراً ، لم يتنازل عنه الشعراء حتى يومنا هذا ، كان هذا الشعر "النبطي" النواة الأولى والأبرز في تطور الحياة الأدبية في الكويت ، وهذا النوع من الشعر كان يشمل جميع الجوانب الإنسانية ، ويعبر عن كل خلجات النفس بأصدق صورة وأجمل عبارة غير أن ما يعوز هذا الفن الشعري ؛ هو عدم التزامه باللغة العربية الفصحى ، وعدم جريانه على الأوزان الشعرية المعروفة .

بعد هذه الإطلالة الصغيرة عن الشعر "النبطي" ، ومدى تأثيره في الأدب والشعر نأتي للحديث عن حركة النهضة الأدبية الحديثة في الكويت ، والتي كما سبق وأشرنا إليها تبلورت ملامحها خلال فترة الستينات وحتى يومنا الحاضر بمراحل مختلفة أنتجت لنا أدباء وشعراء كبار أثروا في الحياة الأدبية في الكويت ، وظهر نتاجهم الأدبي للعالم العربي ، وقد أشاد بهم كثيراً من الأدباء في أنحاء عديدة

من الوطن العربي.

أما الشعر العربي الحديث باللغة الفصحى في الكويت فتطور في المراحل الثلاث، وكان عبد الجليل الطباطبائي، وعبد الله الفرج. وعبد الله الصانع من رواد الشعراء في المرحلة الأولى، وقد ظهرت أغراض الشعر عندهم الشعر الديني، والشعر السياسي، والشعر الاجتماعي، ثم بدأت مرحلة الانتقال وروادها عبد العزيز الرشيد، ويوسف القناعي، وعبد الله النوري، وأخيراً مرحلة التطور وروادها فهد العسكري، وخالد الفرج، وصقر الشيب، وتأتي مرحلة الشعر العربي الحديث وروادها محمد الفائز، وأحمد العدواني، وعبد الله زكريا الأنصاري، و خليفة الوقيان، و فاضل خلف، ويعقوب السبيعي، وخالد سعود الزيد، وعلي السبتي، وعبد الله العتيبي، وجنة القريبي، وسعاد الصباح، ودنجمة إدريس وغيرهم.

وفي مضمار القوالب الشعرية المتميزة نطالع كوكبة من القصائد الشعرية أظهرت الكويت في ثوب شعري قشيب عَكَس مدى نمو وتطور الوعي الثقافي والسياسي عند شعراء الكويت القدماء والمحدثين، وذلك في العشرينات والثلاثينات من هذا الفترة.

وخير دليل على ما وصل إليه هذا الوعي الثقافي الكبير عند أبناء الكويت هو ما قدمه الشاعر **خليفة الوقيان** في كتابه: "القضية العربية في الشعر الكويتي"، ويعتبر كتاب الوقيان أحد الجوانب المهمة في هذا السياق.

فقد شمل كتابه هذا على دراسة تحليلية مستفيضة تفاوتت بين النظرية من جانب، والتطبيقية من جانب آخر في التعملق لدراسة هذا الجانب فيما قدمه الكويت وشعراؤها، وهو يعد بحق إحدى الدراسات التي تستحق الإشادة والتقدير كونها أول محاولة نقدية

شعرية قدمت بهذا المستوى من الموضوعية في الطرح والتحليل.

يعتبر الدكتور **خليفة الوقيان** أحد الوجوه اللامعة في الساحة الأدبية في الكويت، وذلك لما تميزت به كتاباته وأشعاره وإسهاماته الأدبية المتعددة، ونحن إذ نستعرض حياة هذا الأديب الناقد الشاعر ليس كونه القطب الأوحد على الساحة الأدبية في الكويت، فالكويت مليئة بالأدباء، ولكن الوقيان يَظَلُّ علامة بارزة، ونقطة تحول كبير في مسار الأدب والشعر في الكويت لذا حَرِيٌّ بنا أن نلم شتات من جوانب وحياة ونتاج هذا الرمز الأدبي الكبير.

ولد **خليفة عبد الله فارس الوقيان** في الكويت بتاريخ ١٩٤١/١٠/١٠م (العاشر من شهر أكتوبر عام ألف وتسعمائة و واحد وأربعين)، وحصل على شهادة الليسانس من قسم اللغة العربية والأدب بجامعة الكويت في عام ١٩٧٠م (ألف وتسعمائة وسبعين)، وحصل على شهادة الماجستير على رسالته، وكان موضوعها: "القضية العربية في الشعر الكويتي" في عام ١٩٧٤م (ألف وتسعمائة وأربعة وسبعين)، وحصل على شهادة الدكتوراه في اللغة وآدابها من جامعة عين شمس، القاهرة على رسالته، وهي بعنوان: "دراسة فنية في شعر البحتري"، وقد استطاع الشاعر الوقيان أن يحول أخبار البحتري، وصناعته الشعرية إلى مجموعة من القضايا التي تحتمل الحوار واختلاف الآراء إلى جانب تحليه لكثير من قصائد الديوان.

فالدكتور **خليفة الوقيان** يملك الروح العلمية والأدبية التي تجري وراء الحقيقة دون أن يقودها أو يؤثر فيها هوى أو رغبة، ويتصدى لكل أنواع الزيف والدفاع عن الإنسان العربي، ويؤثر على شتى أنواع التخلف في المجتمع، ويلعب على أوتار الكلمات من أجل التحرر الفكري.

والدكتور خليفة الوقيان اختير عضواً في مجالس كثيرة منها . مجلس إدارة مركز الدراسات والبحوث الكويتية ، وهيئة تحرير المجلة العربية للعلوم الإنسانية ، وهيئة تحرير سلسلة كتب عالم المعرفة ، وهيئة تحرير مجلة الثقافة العالمية ؛ المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، ومجلس إدارة المجلة العربية للعلوم الإنسانية ؛ جامعة الكويت ، ومجلس الجوائز بمؤسسة الكويت للتقدم العلمي ، ومجلس كلية التربية ، ومجلس كلية الآداب ؛ جامعة الكويت ، ولجنة النصوص في إذاعة الكويت ، ولجنة مراجعة النصوص الأدبية في المناهج الدراسية ، ولجنة تعريب المصطلحات ؛ بوزارة التربية ، والاتحاد العام للصحافيين العربي ، وهيئة تحرير مجلة الكاتب العربي ، ولجان التحكيم في بعض الجوائز المحلية والعربية ، وإنه نشر العديد من المقالات في الصحف المحلية والعربية ، ومثّل الكويت في اجتماعات وكلاء وزارات الثقافة ، وشارك في العديد من المؤتمرات والملتقيات ، والمهرجانات الثقافية ، وعمل نائب المشرف العام لسلسلة كتب عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة والآداب ، ورئيساً لوفود الأسابيع الثقافة الكويتية في عدد من الدول العربية والأجنبية ، والأمين العام لرابطة الأدباء في الكويت ، وشغل **خليفة الوقيان** منصب الأمين العام المساعد للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب سابقاً ، وعمل مستشاراً في المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب .

له خمسة دواوين شعرية ؛ هي : **"المبحرون مع الرياح"** (١٩٧٤م) . و **"تحولات الأزمنة"** (١٩٨٣م) ، و **"الخروج من الدائرة"** (١٩٨٩م) . و **"حصاد الريح"** (١٩٩٥م) ، وديوانه **"مختارات"** (١٩٩٥م) .

ومن مؤلفاته : **"القضية العربية في الشعر الكويتي"** (١٩٧٧م)، و **"شعر البحتري - دراسة فنية"** (١٩٨٥م)

يمتاز شعر **الوقيان** بخصائص عديدة ومزايا يندر توافرها في شخص واحد ، فمن الرصانة والجزالة والبراعة اللغوية في مفرداته إلى ملامسة ومعايشة آلام وطنه وقضايا أمته ، كل ذلك صاغه الوقيان شعراً بعزيمة صادقة ، وخيال يفوق التصور ، وحروف الوقيان أو قاموسه الشعري الذي ينِمُّ عن عمق التجربة الشعورية ، وعظم الإحساس بجروح وهموم أمته العربية ، فهو شاعر متألق مرهف الإحساس ، حباه الله ملكة شعرية أصيلة صادقة وظّفها لتعبر عن آرائه وعصارة تجاربه ؛ حتى إننا نلمح ذلك في قصائده الغزلية من خلال دعوته إلى الحرية فوق الأرض ؛ وقضية الحب والإنسان ، كما يقول الدكتور محمد مبارك الصوري في كتابه : "الفنون الأدبية في الكويت" :

"وقصائد "المبحرون مع الرياح" أو كلمات "المبحرون في الرياح" الشعرية تكشف عن مدى قدرة الوقيان الشعرية ، وعن موهبة غنية بالشعر والثقافة الإنسانية ، تقفان خلف غزارة عطائه الفني ، فنحن أمام شاعر مثقف جاد ذي شعور وجداني مرهف يفيض حباً وموسيقى وجملاً شعرية ، له رؤيته الخاصة التي تنم على ما لديه من التجربة الذاتية والقراءة الأدبية الشعرية الفلسفية المستفيضة بمعاناة خاصة ، وقد امتاز شعره بأنه سلس صاف عذب يتدفق من أعماقه الإنسانية الصادقة ، ومن أغوار نفسه الطيبة ، وينابيعها الفياضة" (ص/٤٣) .

الرومانسية في شعره :

وتشغل الرومانسية الجانب الأكبر في فكر وأسلوب الوقيان كشاعر رومانسي حتى إن ألفاظه وتراكيبه التي يستخدمها في شعره حبلى بكم من كبير وبشحنة هائلة من الرومانسية يمتزج معها احساسه بالألم والغربة في ذلك العالم المليء بالمتناقضات ، والذي

تسيطر عليه المادية وتبتعد به عن المثاليات لذلك نجد سحة من الحزن تلتصق بشعر الوقيان ، ذلك لأن للوقيان نفساً تمقت الماديات والنفعية ، وتدعو دعوة صادقة إلى صفاء النفس والحرية ، فالصفة الغالبة في شعره الرومانسية بلا حدود وبلا قيود ، وهو من خلال هذا الأسلوب الرومانسي المتميز يلامس هموم ، وتطلعات أمته بقوة وثبات دون ضجة أو زوبعة ، ويقدم لنا آهات وآلام عودة مغترب إلى أرضه قائلاً :

لملمت بقيا شراعاتي و أجنحتي
وعدت من رحلة للغيب مغتربا
صبحي على الدرب أحلام مشردة
أطعمتها الشك و الأشواق و النصبا
أبرحت من أفق داج إلى أفق
معفر ، بشعاع الشمس ما حصبا
تنأى بقبته الأقمار يتبعها
ساع تلفع من ثوب الدجى سحبا
و للمشوق صبابات لمحتجب
تكاد توقد في أحشائه لهبا
تدنو المسافات حتى إنها شغفا
تسعى إليه ، ويطوي كل ما صعبا

فيقول الدكتور محمد حسن عبد الله عن الرومانسية والحب والفكر والتأمل في شعر الوقيان في كتابه : "الشعر والشعراء في الكويت" :

"العواطف في قصائد الوقيان تتسم بالهدوء والاتزان ، وتستحيل إلى نوع من التأمل الراقي والإدراك الرصين ، وتمتزج بفكره الذي تلونه نفس الملامح ، مما يحدو بنا أن نتحفظ في اعتباره شاعراً

رومانسياً" (ص/٢٢٤) .

ويضيف قائلاً :

"تأتي قصيدة "غربة" كتنويعة أخرى على اللحن ذاته ، ولا نبالغ حين نصف هذه القصيدة بأنها من عيون الشعر العربي الحديث ، وفي مستواها الفني ، وصدق الاعتراف ، واحتشاء المعاني ، وتعبيرها عن عصر بأكمله ، إن لم نقل عن موقف الإنسان المعاصر في تمزقه بين فرديته ، وما يدعى إليه من تضحيات قد لا يسلم بقيمتها :

غريب إن مضيت و إن أتيت
وناء إن دنوت و إن نأيت
أقلب في وجوه الناس طرفي
و أسأل في الدروب إذا مشيت
كأني واقف و الدرب حولي
يموج بأهله أني مضيت

النزعة الإنسانية والداعية إلى الحب والرحمة من أهم السمات التي تظهر في شعر الوقيان ، هذه الأبيات تشير إلى هذه النزعة ، يقول الوقيان :

قال لي صاحبي : أعرني مليا
بعض سمع و إن عتبت عليا
كيف لا تعشق الجمال رواء
عبقريا و جدولا علويا
و ثغور الرياض تستر حسنا
و تبث الحديث عطرا زكيا
و أرى البحر و هو ساج يسر الـ
ـحب همسا مع الأصيل حييا

نسج العـــاشقـــون من أنجم البـد
ل على الرمـــل هيـكلا قـدسيـا

وأما التشاؤم في شعر الوقيان مع شئ من الأمل والغد المأمول في الاصطلاح ؛ وتقويم المجتمع ، فتبرز هـذه الخاصية لتولد في داخل الوقيان مرارة الألم واليأس ، فيقول في قصيدته : "في ذكرى وعد بلفور" :

مـــا أرى اليـــوم مثل أمس كئيبـــا
قـــد عراه بعـــد الركود جمـــود
و الصـــدور العطـاش ترتشف النا
ر فيمضي فـــوق الشهيـــد شهيـــد
و جبـــاه تعـــانق الشمس شوقـا
فوقهـا مشعـل السنـا معقـــود
و يـــذوب الظلام في موكب النـــو
ر و تـذوي على الطـــريق القيـــود
و يطـل الصبـــاح من خـلل الرمـ
ـــل و بـين الصخـور ينمو الوليد
كل عـــام لنـا حـديث جـديـــد
وحـديث الـــزنـــود بعـث أكيد

ومما يجب الإشارة إليه من الجانب الرومانسي لشعر الوقيان بأن شعره الرومانسي ، ليس تعبيراً عن ذاته وآلامه وهمومه ؛ بل هو تصوير لمعانـاة وآلام وطنـه العربـي الكبير لذلـك نجد في كثير من قصائده هذا الجانب الرومانسي الذي تنتفي في الذاتية في شعره ، وتسمو إلى آفاق أرحب وتطلعات أرفع ، فالشعر لديه ليس حالة ذاتية بقدر ما هو استشراف للمستقبل ، ومحك حقيقي لتجاوز الآلام

والجراح ، فشعره بعبارة أفصح ليس ذاتياً محضاً ، وإن كانت الذاتية في شعره تمتزج ، ولكنه أممية لوطنه ومجتمعه العربي الذي ينظر إليه كقطعة واحدة لا تتجزأ رغم الحدود الجغرافية والمسميات التي لا يعترف بها في شعره : فيقول عن ذاته في قصيدة "زيف" :

مـرت بـــالأمس كئيبـــا متعبـــا
محهـد القـلب بدرب الخائـــرين
حيث يـرخـى الليـل فـي هدأته
ظـــل ثوب أسود النسج حـــزين
عـلّ روحـي أن تـــرى من ظمأ
خيط نور فـــي دروب المـــدلجين
فلكم أنفقت ليلـي تائها
أسأل الأقـمـــار عـــن سر دفـين

وينحو الوقيان مناحي عديدة في شعره ، ويتعمق بمعانـاة وطنه فالحس الوطني عنده حسٌ وطنيٌ حقيقيٌ لذلك نجد في الكثير من شعره يلمع لنا وطنه الكويت يخاطبه ويناجيه ويبث آلامه ومعاناته قائلاً :

- حفنة من تراب الكويت
- خضبتها دماء الصغار
- دموع الكبار
- فكانت لمصباح داري
- فتيلا وزيت
- أيها القادمون من الليل
- إن حوافر خيلكم
- تطفئ الآن ومض الشموع

وهذه النزعة الوطنية نجدها قد برزت بقوة إبان الغزو العراقي

على الكويت في الثاني من أغسطس ١٩٩٠م ، وأخذت في تزايد مستمر ، ويقول :

- وحينما تمس صفحة النقاء والطهارة
- أصابع القرصان
- مخالب تفتال في الظلام خيط الفجر
- دفء الشمس ، بهجة الربيع
- رونق الحضارة ، يستيقظ الموج
- الذي لم يألف الضغينة
- لم يعرف الهوان
- تزمجر الشيطان

فتكتب الدكتورة نورية الرومي عن خصائص شعر الوقيان وتطوره :

"وقد كان خليفة الوقيان في الكويت من أكثر هؤلاء الشعراء حرصاً على السمو بلغته وصوره الشعرية ، لتصبح قادرة على أن تحمل إلى الأحاسيس الوجدانية في نغم إنساني عام ، فعمد إلى أن يجعل من أحاسيسه الرومانسية الذاتية أحاسيس وجدانية إنسانية ، موظفاً بذلك الحديث عن ذاته توظيفاً تماماً ، حيث أخذ يبحث عن عالم مثالي يخلصه ، ويخلص غيره من المقهورين المحرومين من آلامهم وأحزانهم ، كما أنه قد نجح في أن يختار للتعبير عن الأحاسيس الإنسانية لقصائده لغة عربية سليمة ليس تقليدية خالصة مأخوذة من الشعر القديم" .

وتضيف قائلة :

"والمرحلة الثانية من أشعاره ، ونقصد ما نظمه بعد نشر ديوانه : "المبحرون مع الرياح" ، تكشف عن تحول واضح في فنه

الشعري ، يمثل تغيراً له أهميته على موقفه من الحياة والناس من حوله ، وهو موقف نستطيع أن نلخصه في يأسه من توصل إلى العالم المثالي الذي لم يعد يظهر في أشعاره ، وكأنه قد مات ، أو كأنه لم يجد وسيلة إلى الخلاص النفسي والاجتماعي على نحو ما كان يعتقد في قصائده الأولى" (١) .

وتكتب ليلى محمد صالح عن أسلوب الوقيان قائلة :

"يمتاز شعره بالجزالة والاقتدار اللغوي والخيال الحي ، والإحساس بالغربة ، ورفض الزيف والادعاء ، ثم الموضوعية في معالجة القضايا الوطنية والعربية التي سخر وهبته الشعرية لخدمتها ، وتنفرد مفرداته بجزالتها و عمق إيقاعها ، و له ملكة أصيلة ، خيال خصب ، و شعره يمتاز بالانفعال الحسي ؛ والعاطفي ؛ والنفسي ؛ والتحليل المتمكن" (أدباء وأديبات الكويت : ص/١٣٤) .

"شاعر مبدع جريح بهموم الأمة العربية ، آراؤه نبض فكره وخلاصة تجاربه ، وهو مرهف وحساس يملك مشاعر رقيقة ، حتى إن قصائده الغزلية يدافع من خلالها عن قضية الحب الإنساني ، وحريته فوق الأرض" (أدباء وأديبات الكويت : ص/١٣٤) .

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين

---

(١) الدكتورة نورية الرومي : الحركة الشعرية في الخليج العربي بين التقليد والتطوير (المطبعة العصرية - الكويت سنة ١٩٨٠م) : ص/٤١٧ .

تصوير الغرائز الجنسية في قصة نجيب محفوظ

بقلم : د.محمد نجم الحق الندوي
(مدير معهد اللغة العربية - الجامعة الإسلامية العالمية - شيتا غونغ - بنغلاديش)

من المعلوم أن الأدب العربي حافل بتصوير المرأة وعلاقاتها الجنسية من قديم الزمان وحديثه ، وكان معظم الشعراء الجاهليين لم ينشدوا شعراً إلا بتصوير حب المرأة تصويراً يعكس المرأة من نفس العربي الجاهلي ، ولذلك كان الغزل تقليداً لازماً في مطلع القصيدة الجاهلية ، ولكن الغزل التقليدي لم يشتط في تصوير مشاعر الغزل ، ولم ينزل بها إلى دائرة الجنس إلا في شعر امرئ القيس الذي قيل : إنه "كان ممن يتعهر في شعره" (١) ، وكان تصويره للحظات مجونه صدى لحياته اللاهية المترفة .

ولما جاء الإسلام رفع من شأن المرأة ، ودعا إلى العفة في الحب ، وإلى صون الأعراض ، فكانت المدرسة العذرية التي أعطت للحب مساحة كبيرة جداً ، ولكنها لم تخرج به عن دائرة العفة ، مثلما فعل العمريون الذين يبدون بعثاً جديداً لغزل امرئ القيس وأقاصيص غرامه ؛ حتى قيل : "ما دخل على العوائق في مجالهن أمز عليهن من شعر عمر" (٢) ، وهل كانت المدرسة العمرية إلا صدى لحياة نفر من الشعراء اللاهين المترفين من أمثال عمر بن أبي ربيعة والعرجي والأحوص في غيبة من رقابة الدولة أو تساهل منها .

وليس ينفع في تبرئة المدرسة العمرية أن يحتج بما زعم من قول عمر بن أبي ربيعة : "والله ما أعلم أني ركبت فاحشة قط" (٣) إذ

يكفي تعرضه للحرائر المسلمات في موسم الحج ، يفضحهن في شعره ، و ينسب إليهن زوراً ما لم يقلن أو يفعلن . أما تلميذه الشاعر العرجي ؛ فقد كان شاعراً محققاً في مجونه كما يحدثنا أبو الفرج الأصفهاني في أغانيه (٤) .

كما أن رقابة الدولة كانت تتدخل تدخلاً مباشراً في بعض الأحيان ، وهذا ما فعله عمر بن الخطاب ﷺ حين أخذ بحلاقين الشعراء أن يخوضوا في أعراض المسلمين ، سواء كان في الغزل الصريح أو الهجاء القبيح ، كما تمثل هذا التدخل في موقف سليمان ابن عبد الملك ؛ وعمر بن عبد العزيز ﷺ من الشاعر الأحوص ، فقد روى ابن سلام الجمحي عن الزهري ، قال : "كان الشاعر الأحوص ينسب بنساء أهل المدينة ؛ فتأذوا به ، وكان معبد وأمثاله من المغنين يتغنون في أشعارهم ، فشكاه قومه ، فبلغ ذلك سليمان بن عبد الملك ، فكتب إلى عامله على المدينة أن يضربه مائة سوط ؛ ويقيمه على [illegible] . ثم يسير إلى أهله ، ففعل ذلك به" (٥) فثوى بها سليمان بن عبد الملك ، وعمر بن عبد العزيز .

ويمتد الزمان بالمسلمين ؛ فيتغير بهم الحال ، ويزداد بعدهم عن الإسلام ؛ حتى إذا جاء العصر العباسي وجدنا في مد[illegible] بشار بن برد مجوناً صريحاً وانحرافاً جنسياً بشعاً لا يتورع أتباعه عن تصويره في كثير من أشعارهم ؛ كما وجدنا أكثر مجوناً منه في مدرسة أبي نواس ، وفي أشعار أتباعه .

وانقلبت الواقعية التي كانت تبدو في نقائض الثالوث الأموي ذكراً للعورات والأفعال الجنسية إلى أدب مكشوف في العصر العباسي ، وقد دافع الجاحظ عن هذا الأدب ، ومضى ينشره في كثير من كتبه ورسائله ، وما رآه في ذلك منافسه ابن قتيبة ، فقد في عيون الأخبار

فصلاً في أخبار النساء ملأه بالأدب المكشوف دون تحرج .

و انتشر هذا النوع من الأدب الجنسي في الشعر و النثر مما نجده ماثلاً في أشعار ابن الحجاج ، وفي فصول كثيرة من يتيمة الدهر ، بل إننا نجد في تراثنا المخطوط عدداً كبيراً من الكتب الخاصة بأدب الجنس ، ومن ذلك رسالة العروس المنسوبة إلى الجاحظ ، ورسالة أخرى للسيوطي ، أما قصص ألف ليلة وليلة ؛ فإننا نجد فيها ما نجده لدى كتاب الجنس المعاصرين ، وكل ذلك بعكس على مدى القرون ابتعاد المسلمين عن مثل دينهم وآدابهم ؛ كما يعكس غياب دور الدولة في الرقابة والتوجيه ، وكل ذلك نشاهد في الأدب العربي القديم .

وما كانت صلته بالأدب العربي الحديث فكان أسوأ حالا من ذلك ، نشاهد فيه نكسة الأدب العربي من الأصالة إلى تقليد الأدب الغربي في لهاثه وراء الجنس ، وذلك لا يكون إلا بأسباب شتى :

أولاً : إن تصوير الأشياء في الشعر أصعب من تصويرها في النثر ، وإن معظم أدباء العصر الحديث كانوا يرشحون عنايتهم إلى كتابة القصة والرواية أو المسرحية ، وإن كانت لدى بعضهم مؤهلات وملكة في إنشاد الشعر ؛ كما نجد كثيراً منهم يجيدون في الشعر والنثر معاً ، أمثال : عباس محمود العقاد ، وجبران خليل جبران ، وميخائيل نعيمة ، فيصورون الغرائز الجنسية في الرواية والقصة والمسرحية .

ثانياً : أن كثيراً من كتاب العصر الحديث كانت لديهم معرفة كبيرة في ثقافة الغرب وصلة وثيقة بالآداب العالمية ومعظمهم متأثرون بأعمال الأدباء الأوربيين الذين يفيض إنتاجهم بالأدب الجنسي المنحرف ؛ أمثال الشاعران الفرنسيان : "بودلير" و "فرلين" ، والكاتب القصصي الإنجليزي "أوسكار وايلد" الذي لم يجد غضاضة

في الحديث عن شذوذه الجنسي ، والكاتب القصصي الأمريكي "أرسكين كالدويل" ، والكاتب الأمريكي الزنجي "أليكس هالي" ، والكاتبة الأمريكية "بيرل بك" التي فازت بجائزة نوبل العالمية في الآداب .

وما لبث الأدب الجنسي المكشوف أن طغى على الفنون العالمية كلها ، وبخاصة فن السينما والتلفزيون ، وأشرطة الفيديو ؛ و سِيدِي ، وتأثرت بها معظم كتاب القصة العربية تأثراً كبيراً ، ولمعت آثارها السيئة في قصصهم ورواياتهم ؛ حتى الأمهات الأربع للرواية العربية : رواية زينب (٦)، ورواية سارة (٧) ، ورواية عودة الروح (٨) ، ورواية إبراهيم الكاتب (٩) ، وإن كانت الغرائز الجنسية لم تعالج في تلك الروايات الأربع إلا أنها ليست بعارية من تأثيراتها السيئة ، مع أن كتاب تلك الروايات يعدون رواداً للقصة العربية .

أما قصة أخرى لتوفيق الحكيم "الرباط المقدس" يكتب فيها صفحات مطولة يسوغ فيها الخيانة الزوجية ، ويتفنن في وصف المشاعر الجنسية لدى المرأة تفنناً يثير الغرائز ، ويغري المرأة بالانحلال والسقوط مما يجعل من يملك مسكة من عقل أو دين يربأ بنفسه أن يدخل إلى بيته هذه القصة الذائعة الصيت خشية أن تغري أبناءه وبناته بالانحراف .

وقد علق الأستاذ سيد قطب الشهيد على قصة "الرباط المقدس" بقوله : القصة قصة امرأة تخون ، امرأة منحرفة تدعوها نوازع اللحم والدم ، فتستجيب وتغريها بدعة العصر في التحلل من القيود ، فتفلسف السقوط بالحرية والتجديد ، وتنظر إلى ما تسميه - مغامرة - نظرتها إلى أمر يومي صغير ، لا يجوز أن يحطم عشا ، ولا يحدث ضجة ؛ ثم تسخر ما شاءت لها السخرية من رجعية الرجل ؛

ومن أنانيته ، لأنه يتطلب منها فرشاً نظيفاً ، وذريةً مضمونةً .

وقصة رجل سوى الفطرة ، تربّى في إنجلترا ، ولكنه لم ينحل ، يعرف كيف يؤدي حقوق الزوجية كاملة ، ولكن في حدود الفطرة السوية ، فضاقت المرأة المنحرفة بهذه الحدود ، وتاقت نفسها إلى "المغامرة" اللذيذة ؛ والاستجابة الممنوعة .

وهي تصف في مذكراتها - الكراسة الحمراء - لحظات هذه الاستجابة وصفاً حسياً عنيفاً ، تصفها كما وقعت محوطة بالوهج و اللهب ، مغلقة باللذة الحيوانية الهائجة ، غارقة في بحران الغيبوبة ، إن هذه المرأة ، هي المرأة كما يتصورها توفيق الحكيم ، فالمرأة إما حورية مقدسة ، و إما بغية فاجرة ، و لا وجود للمرأة السوية في كل أعماله ... " (١٠) .

وينهي الأستاذ سيد قطب تعليقه قائلاً : "إن الطبيعة لأحكم من كل فلسفة أخلاقية ، ومن كل سفسفة إبلحية ، وإن كل انحراف عن سنتها لهو انزلاق إلى مهاوي الفناء ، وذلك ما يجب أن نلقى بالنا إليه ، ونحن نعالج مثل هذه الأمور ، سواء في البحوث العلمية ؛ أو الآداب والفنون" (١١) .

وأما ما نرى ممن تربع على عرش القصة العربية بعد الرواد الأُول ، يوسف السباعي ؛ وإحسان عبد القدوس ، اللذين كان معظم قصصيهما تصور طبقة المترفين اللاهين في المجتمع المصري ، وهو ما سمى بالمجتمع الأرستقراطي ، ومجمع النوادي ، والصالونات المختلفة ، وهو مجتمع ينحرف عن الإسلام وأخلاقه بمقدار ما يتيح له المال من لهو وترف ، وبمقدار ما تتيح له مثل هابطة أن يقلد المجتمعات الأوربية المنطلقة من كل قيد ديني أو خلقي ، ولقد كانت قصص هذين الكاتبين تعتمد واضحة على إثارة الغرائز الجنسية ، أو مداعبتها لدى

المراهقين اللذين كانوا يمثلون الكثرة الكاثرة من قرائها .

وإذا كانت قصص إحسان عبد القدوس ، ويوسف السباعي تعنى بالطبقة المترفة ، فإن غيرهما من الكتاب مضوا يتحدثون عن سائر طبقات المجتمع ، واتفق معظمهم على جعل الجنس المحور الأساسي في البناء القصصي ، أو أعطوه من النسبة أكثر مما يشغله في واقع الحياة مجاراة للموجة الجنسية الجارفة في الآداب الغربية .

وأما نجيب محفوظ - وهو اليوم رائد القصة العربية وأكبر كتابها ، والفائز بجائزة نوبل العالمية في الآداب - فيعطي الجنس وغرائزه قيمة كبرى في قصصه ، بل قد يعطيه القمة المركزية في بعض قصصه ، ولا سيما فإن رواياته قد غصت بالغرائز الجنسية ، وبدا في جزء منها مرتبطاً بالظاهرة ارتباط النتيجة بمعنى أن هذه الممارسة غير المشروعة للجنس عند بعض الفتيات ، كانت وسيلة للكسب والارتزاق ، وأداة لمغالبة آلام الفقر والحرمان ، وبدا في جزئها الآخر ضرباً من إشباع الغريزة التي فكر عليها جنس الحيوان بعامة ، وليس من اليسير فصل كلا الأمرين عن صاحبه فصلاً تاماً ، بأن يخلص بعض الحالات لمجرد الرغبة في الكسب ، ويخلص بعضها الآخر لمجرد إرضاء النزوة ، وإشباع الغريزة ، فكثيراً ما يختلط الأمران : لكن الظاهرة على أي حال موجودة بكثافة ، ولعل أول ما يصادفنا في روايات نجيب محفوظ الاجتماعية ، منها في روايته "القاهرة الجديدة" (١٢) يصل نجيب محفوظ إلى قمة العبث حين يدير محور القصة على شاب مثقف يرضى أن يقوم بدور القواد في سبيل تدعيم مركزه ؛ وضمان مستقبله ، وتسابق زوجته بتدبير من أبيها إلى أن تكون خليلة للوزير العجوز ، وهي تستقبله في بيت زوجها بينما يغض الزوج بصره عما يجري في بيته .

وصور فيها نجيب محفوظ جامعة أعقاب السجائر التي التقى بها محجوب عبد الدائم - بطل هذه الرواية - ذات مساء ، وهي عائلة لتوها من بين أحضان أحد البوابين النوابيين ، ثم نقدها ثلاثة قروش حسبما طلبت ، وغنّى عند البيان أن "إحسان شحاته" بطلة هذه الرواية - في هذه الرواية ، مثل حي لهذه الظاهرة ، وفي الوقت نفسه أحد النماذج الإنسانية القليلة التي باعت شرفها رغماً عنها ، ودفعت دفعاً إلى السقوط ، فقد كانت على جانب كبير من الجمال ؛ لكنها سليلة أبوين منحرفين ، لم يضمر للأخلاق احتراماً قط ، وكانت شركتهما عشقاً قبل أن تصير زواجاً ، وظل أبوها يرتزق في سوق النساء بجماله وصفاقته ؛ حتى تزوجته أمها ، و وهبت ما ادخرت من مال يتاجر به ، فبدد ما بدد على المخدرات والقمار ، وبقيت له دكان سجائر الصغيرة ، و لكنه كان يقول لنفسه معتزاً : "ضاعت حياتي حقاً ، ولكن البركة في "إحسان" ؛ فوجدت فيه الفتاة كما وجدت في أمها عوناً للشيطان والسقوط ، ولكنها لم تسارع إلى السقوط" (١٣) .

وقد تعلق قلب إحسان أول الأمر بعلي طه - أحد طلاب الجامعة المقيمين بدار الطلبة المواجهة لدارهم الصغيرة البالية - وأعجبها فيه شبابه وجماله ومستقبله ، وعقدت آمالها على الزواج منه ، بيد أن والدها لم يبد ارتياحاً لذلك ، وقال عنه : "إنه شاب فقير ، حتى السجائر لا يدخنها" ، وقال لابنته ذات مرة ساخرة .. مبارك عليك الشاب الجميل الذي بعثه الله ليجوعنا (١٤) ، إنه إذاً يبحث عن صيد ثمين تنال منه الأسرة جميعاً ذات الصغار السبعة ما يكفيهم غائلة الجوع ، ولتكن إحسان الطعم الذي يردي الفريسة ، وهكذا تبدلت الحال بإحسان ، وانصرفت عن علي طه كارهة ، و وقعت في شراك قاسم بك فهمي - وزير الدولة - الذي أغرق أسرتها بالعطايا ، وأشبع

لهم و والديها إلى المال . ولم تتردد في الإفصاح عن ذلك حين سألها محجوب عبد الدائم ، بعد زواجه الصوري منها ، قال لها محجوب وهما جالسان في شرفة منزلهما بالزمالك :

لماذا فعلت ؛ ما فعلت ؟

فاحمر وجهها ؛ وقالت بحدة :

ولماذا قبلت ؟ .....؟

فقال بسرعة وبلهجة لينة توحي بالاعتذار :

أنا لا أحاسبك ، ولكنني أريد أن أفهم ..... لماذا ... لماذا ... ألم ؟

وأغلق فمه مرغماً ؛ وقد تورد وجهه ، ثم استدرك قائلاً :

علي طه ؟

وقاطعته بسرعة وبنفس اللهجة الحادة الغاضبة ؟

لا محل لذكر ...

فسألها بصوت خافت :

وقاسم بك ؟

وقطبت وجعلت تقرض ظفرها بانفعال ؛ ثم قالت بحدة :

حملني على معرفة ما حملك على قبول هذا الزواج ... (١٥) .

وهكذا صور الراوي في روايته الشهيرة "زقاق المدق" (١٦) ، وهي الرواية التي أراد بها أن يبين أثر الحرب العالمية الثانية في تغيير القيم الاجتماعية ، ويدور محور القصة حول فتاة فقيرة من حي شعبي ما تلبث أن تسقط سقوطاً جنسياً على يد أحد السماسرة ، فتعمل راقصة تبيع جسدها للجنود الإنجليز ، وتأبى لسبب لا نعرفه أن تعود مع حبيبها إلى حياة الشرف مفصلة حياة الانحراف والسقوط . ولا تبالي أن ترى فتاها الذي كانت تبادله الحب صريعاً تحت أقدامها بيد الجنود الإنجليز المخمورين .

ولكن الأمر قد يختلف قليلاً بالنسبة لسقوط حميدة - بطلة هذه الرواية - في "زقاق المدق" أجل أنها ربيبة (١٧) بيئة شعبية فقيرة . هي بيئة الزقاق القريب من حي الحسين . وهي لهذه النشـأة الفقـيرة تشبه إحسان في نشأتها ، لكنها تختلف عنها أن إحساسها بالأنوثة كان طاغياً ، وفيضان الجنس عندها كان عارماً ، وقد تجـاوب ذلـك في نفسـها مع الرغبة في هجر الزقاق وأهلـه ، والبعـد عـن حياتـه الخـاملة الرتيبـة ، والتطلع إلى حياة الترف والمتعة ، ولذا فإنـها كثيراً مـا كـانت تتـهكم بالزقاق وأهله ، وتنم نظراتها إليها عـن سـخرية واسـتخفاف ، ويـدل على ذلك قولها ذات مرة ، وقد أطلت من نافذة حجرتـها المطلـة علـى الزقاق ، ملقية ببصرها بين مصراعيها المنفرجين قليلاً :

"مرحبا بك يا زقاق هذه السعادة ، دمت ودام أهلـك الأجـلاء ، يا لحسن هذا المنظر ، يا لجمال هؤلآء الناس ؛ مـاذا أرى ؟ هـذه حسـنية الفرانة جالسة على عتبة الفرن كالزكيبة ، عيناً علـى الأرغفـة ، وعينـاً على جعلة زوجها ، والرجـل يشـتغل مخافـة أن تنـهال عليـه لكماتـها وركلاتها ، وهذا عباس الحلو - شخصية أخرى لهذه الروايـة يستمر النظر إلى النافذة في جمـال ودلال ، ولعلـه لا يشـك في أن هـذه النظـرة سترميني عند قدميه أسيرة لهواه ، أدركوني يا هوه قبل التلف ، أمـا هـذا فالسيد سليم علوان ؛ صاحب الوكالة ، رفع عينيه ، يا أماه ؛ وغضهما ، ثم رفعـهما ثانيـة . قلنـا الأولى مصادفـة ، والثانيـة ؛ يـا سـليم بـك ؟ مصادفة كل يوم في مثل هذه السـاعة ؟ ليتـك لم تكـن زوجـاً وأبـاً إذا لبادلتك نظرة بنظرة ، و لقلت لك : أهلاً و سهلاً و مرحباً ، هـذا كـل شئ ، هذا هو الزقاق ؛ فلماذا لا تهمل حميـدة شـعرها ؛ حتـى بقمـل ؟ ها هو ذا الشيخ درويش قادماً يضرب الأرض بقبقابه ...

وهنا قاطعته أمها في سخرية :

ما أحق الشيخ درويش أن تكون زوجاً لك !

فلم تلتفت إليها ورقصت لها عجزتها ، وهي تقول :

يا له من رجل مقتدر ؛ يقول : إنه أنفق في حب السـيدة زينـب مائة ألف جنيه ، فهل يبخل على بعشرة آلاف ؟

ثم تراجعت فجأة كأنها ملت موقفها ، وعادت إلى المرأة ملقيـة إليها نظراً فاحصاً، وتنهدت : وهي تقول : يا حسارتك يا حميدة (١٨).

وقد أغرقت حميدة بدلالها وأنوثتها عبـاس الحلـو الحـلاق فـهام بحبها وسعى إلى الزواج منها ، وتمت خطبتها له بموافقة أمها ، ورأى أنه يعد نفسه لهذا الزواج بترك عمله في صالون الحلاقة بالزقاق ، والعمـل بمعسكرات الاحتلال الإنجليزي في منطقة القنـاة ، حيث الحـرب العالميـة قائمة ، وفرص العمل هناك كثيرة ، وأرضت لهذه الخطـة طمـوح جميـلة بما يحمله معه من مال وفير ، بيد أن نوازع نفسها الظمأى إلى الجنـس ، وأشواقها الجارفة إلى التنعم بالمـال ؛ لم تكـن قـد اسـتقرت تمامـاً ، ومـا زالت في حال من التوثب والقلق ، وتحين الفرصة الأفضل ، وهـذا مـا يفسر لنا قبولها خطبة السيد سليم علوان ؛ صاحب الوكالـة ، في أثنـاء غياب عباس الحلو بمعسكرات التل الكبـير ، علـى الرغـم مـن فـارق السن بينهما ، ومعرفتها بأنه رب أسرة ، وأن أولاده يشـغلون منـاصب مرموقة ، لكن هذا الزواج لم يتم بسبب الذبحـة الصدريـة التـي ألمـت بالسيد سليم (١٩) .

لم تكن حميدة إذن بوضعها الطبقي وتكوينها النفسي بمنجاة من السقوط إذا سنحت الفرصـة ، واعترضـها واحـد مـن هـؤلآء الذيـن خبروا هذا الميدان ، ومارسوا العمل فيه تحت أي شعار ، وعرفوا كيـف يصيدون ضحاياهم من أماكن مختلفة ؛ حتـى أصبحـت مهنتـهم إمـداد سوق الرفيق الأبيض بعناصر جديدة ، وقد قدر لهـا هـذا الشـخص في

"فرج إبراهيم" الشاب الأنيق الذي وفد الزقاق ذات مساء ليشهد حفل دعاية انتخابية، فاسترعى اهتمامه ملامح حميدة ونظراتها فراح يتفحصها "بعينين نافذتين"، ولما كان مقتنعاً بأنها صيد لا يمكن إفلاته؛ فقد أخذ يسلك إلى الإيقاع بها كل سبيل، ويتردد على القهوة المقابلة لمسكنها ويعابثها في الطريق، ويوقظ في نفسها شعور الغرور، والترفع على الزقاق وأهله بالإطراء على حسنها وملاحتها، وأنها خلقت من طينة أخرى غير التي خلق منها أهل الزقاق، ومع كثرة إلحاحه ومطاردته من ناحيته، ورغبتها الخفية في استطلاع هذا العالم المجهول الذي يوجد بالقطع، بعيداً عن الزقاق، ومن ناحية أخرى؛ فإنها أسلمت نفسها إليه مرة بعد مرة، وتوجهت معه أخيراً إلى مسكنه بشارع شريف طامعة في أن يحقق أحلامها بالزواج منها، ولكن هذه الأحلام ترددت بعد أن صارحها بالرفض القاطع، ولم يكن أمامها من سبيل إلى العودة إلى الزقاق، فقد وقع المحظور وضاع كل شئ (٢٠).

وانضمت حميدة إلى مجموعة العاهرات الأخريات التي أطلق عليهن فرج جميعاً اسم: "مدرسة الرقص"، ودعا نفسه ناظراً لها، واستقدم بعض المخنثين والفتيات لتدريب أعضائها، والحقيقة أنها كانت معرضاً للجنس، وفي أحط صوره، ومباءة للكسب بتجارة الأعراض (٢١).

وإذا كان مصير إحسان في "القاهرة الجديدة"؛ قد انتهى إلى التمزق والضياع، فإن مصير حميدة هنا؛ قد انتهى إلى مثل ذلك؛ لكن بصورة دموية أدى إليها الشعور بالغيرة من جانب عباس الحلو حين رآها - بعد عودته من التل الكبير - تعابث أحد الجنود الإنجليز في حانة من حانات شارع فؤاد؛ فقذفها بزجاجة في وجهها، وأثار ذلك

هياج من بالحانة من الجنود الإنجليز؛ فانقضوا عليه، وأشبعوه ضرباً؛ حتى قتل.

وما أشبه هذه القصة برواية أخرى "بداية ونهاية" (٢٢)؛ حيث يدور محور القصة حول الفتاة التي نكبت بوجه دميم وجسد يغلى، فلم يكن أمامها طريق أفضل من أن تدفن دمامتها في صدر كل رجل يستطيع أن يدفع غائلة الفراغ عن أمعائها؛ وبطون اخوتها، ولا تعنيه الدمامة في غمرة ذهوله الجنسي بين ثنايا جسدها ولم تكن دمامتها؛ هي العالم الحاسم - في سقوطها، فالسقطة الأولى في حياتها كانت احتجاجاً لا واعياً على دمامتها، أرادت به أن تؤكد ذاتها، وتحقق وجودها (٢٣).

وقد رأينا أن نفيسة - بطلة هذه الرواية - في "بداية ونهاية" آل مصيرها إلى الانتحار في نهر النيل بين يدي شقيقها حسنين، وكان هذا المصير نهاية حزينة لمرحلة السقوط الجنسي التي امتدت عدة سنوات، بدأت هذه المرحلة عقب وفاة الأب "كامل علي"، واحتراف نفيسة مهنة الخياطة لمساعدة أمها وإخوتها على مواجهة أعباء الحياة الجديدة، فظروفها الاجتماعية إذن تتشابه إلى حد كبير مع ظروف إحسان وحميدة، من حيث إن كلا منهن نبتت في بيئة اجتماعية فقيرة؛ أو بعبارة أخرى: أنهما من الطبقة الوسطى الصغيرة؛ لكنها لم تكن في جمال إحسان، أو ملاحة حميدة، بل على العكس من ذلك. كانت دميمة عديمة الجاذبية، ولعل ذلك كان هو السبب الأساسي المباشر في سقوطها وانزلاقها إلى هاوية الخطيئة.

(يتبع)

الهوامش:

(١) ابن قتيبة؛ "الشعر والشعراء": ص/٥٦، انظر: "طبقات فحول الشعراء"؛ لابن سلام الجمحي: ص/٤١.

(٢) أبو الفرج الأصفهاني : "الأغاني" : ج/١ ، ص/٧٤

(٣) المرجع السابق : "الأغاني" : ج/١ ، ص/٧٧ .

(٤) انظر: "الأغاني" : ج/١، ص/٣٨٢، ج/٨ ص/١٨٤، و"الشعر والشعراء" : ص/٥٥٦.

(٥) ارقام البصري ؛ "كتاب العفو والاعتذار" (دائرة المعارف - القـاهرة - سنة ١٩٧٤م : ص/٣٥٩ ، انظر : "طبقات فحـول الشـعراء" ؛ لابـن سـلام الجمحي : ص/٦٥٥ ، "الأغاني" : ج/٤ ، ص/٢٤٦ .

(٦) "تعد أول رواية اجتماعية فنية في الأدب العربي" ؛ للدكتـور محمـد حسـين هيكل ، نشرها أولاً بقلم مصري فلاح ؛ سنة ١٩١٤م ، ونشرها باسمه سنة ١٩٢٩م .

(٧) "رواية اجتماعية" ؛ لعباس محمود العقاد ، نشرها أولاً سنة ١٩٣٨م :

(٨) "رواية اجتماعية" ؛ لتوفيق الحكيم ، نشرها أولاً سنة ١٩٣٣م .

(٩) "رواية اجتماعية" ؛ لإبراهيم عبد القادر المازني ، نشرها أولاً سنة ١٩٣١م .

(١٠) سيد قطب الشهيد ؛ "كتب وشخصيات" (مكتبة مصـر - القـاهرة - سـنة ١٩٤٧م) : ص/١٢٨ .

(١١) المرجع السابق : ص/١٣١ .

(١٢) "رواية اجتماعية" ؛ لنجيب محفوظ ، نشرها أولاً سنة ١٩٤٥م .

(١٣) نجيب محفوظ ؛ "القاهرة الجديدة" : ص/٢٠ .

(١٤) المرجع السابق : ص/٢١ .

(١٥) المرجع السابق : ص/١٦٠ .

(١٦) "رواية اجتماعية" ؛ لنجيب محفوظ ، نشرها أولاً سنة ١٩٤٧م .

(١٧) توفيت أم حميدة الحقيقية ، وحميدة في سـن الرضاعـة ؛ فثبتتـها شـريكتها في الاتجار ببعض الأخلاط الجالبة للسمنة ، وعرفت باسم حميـدة . راجـع الروايـة : ص/٢٨ .

(١٨-١٩) نجيب محفوظ ؛ "زقاق المدق" : ص/٣١-٣٢ .

(٢٠) المرجع السابق : ص/١٦٦،١٨٠،١٩٥،٢٢١. (٢١) أيضاً : ص/٢٣٢ وما بعدها .

(٢٢) "رواية اجتماعية" ؛ لنجيب محفوظ ، نشرها أولاً سنة ١٩٤٩م .

(٢٣) الدكتور غالي شكري ؛ "أزمة الجنس في القصة العربيـة" (الهيئـة المصرية العامة للكتاب ، سنة ١٩٧١م) : ص/١٢٣ .

التصور الجديد للحرية والتعاطف

بقلم : الاستاذ واضح رشيد الحسني الندوي

سواء اعترفت القيادة السياسية الأمريكيـة أم لم تعـترف ، فـإنّ العالم كله يقف ضدها ، ويجهر بإدانته لما ترتكبه من إجراءات وحشية ، وخارقة للقوانين الدولية ، والمواثيق الإنسانية . والقيم الحضارية ، التي تعتبر أمريكا أنها رائدتها ، وترتكب أشنع نوع مـن الإرهـاب الـذي تدعي أنها تحاربه ، وأنها دخلت في العراق لمكافحته .

إن إدانة أمريكا تعمّ العالم كله ، ولم يوجه بلد من البلـدان في التاريخ المعاصر مثل هـذه الإدانـة ، كمـا تواجهـها أمريكـا ، وتتبعـها بريطانيا ، وتفقد أمريكا بمرّ الأيام حليفـاً مـن الحلفـاء ، وصديقـاً مـن الأصدقاء ، بالإضافة إلى الخسائر الجسيمة الـتي تُمنى بـها ، وهـي لا تطيق أن تزيح القنـاع عنـها ، لأن الشـعب الأمريكـي الـذي لم يؤيـد الرئيـس "بـوش" في مغامرتـه ، بـل خـرج الشـعب الأمريكـي إلى الشوارع متظاهراً ضد الحرب ، إن هذا الشعب إذا عرف ما يدفعه من ثمن باهظ لهذه المغامرة ثار على القيادة السياسية وأجبرها علـى تغيـير سياستها الحربية .

إن الشعب الأمريكي شعب من الشـعوب الإنسـانية ، يحمـل مشاعر إنسانية كالشعوب الأخرى ، وقد لعب دوراً في الماضي بفرض إرادتـه ، وإبـداء امتعاضـه لسياسـات الحكـام الذيـن انتخبـهم في الانتخابات ، إذا انحرفوا عن وظائفـهم لبنـاء الوطـن ، وانغمسـوا في

أعمال تشوه سمعة البلاد، وقد ثار هذا الشعب في التاريخ، وأعلن براءته عن ذنوب الحكام، وهو شعب له غيرة وشهامة، ويتمتع بحرية التعبير، وحرية الإرادة والعمل.

كذلك يلعب الإعلام الأمريكي دوراً مفضلاً في كشف عورات القادة، ولا يقصر فيه، كما يقصر إعلام البلدان الأخرى المؤمم، ومثل ذلك القضاء الأمريكي قضاء حرّ لا يخضع لرغبات الحكام، كما يخضع القضاء المدني في بعض البلدان التي يصدر القضاة فيها أحكاماً تمليها عليهم القيادة السياسية، فإن أمريكا بلد ديموقراطي بمعنى الكلمة، وكذلك تتمتع فيها الأقليات والمعارضة بحقوق النقد الحرّ، والاحتساب.

إن فضيحة "واترجيت" في عهد نكسن، أجبرت الرئيس نكسن على الاستقالة رغم خدماته الكبرى في حل عدد من القضايا العالمية وتوجهه السلمي، وفضيحة مونيكا لونسكي في عهد كلنتن؛ نموذجان ليقظة الشعب الأمريكي، وسيادة حرية التعبير وتأثيرها، كذلك ردّ فعل الإعلام لمغامرة كارتر في إيران وإخفاقها، يدل على تغلغل الوعي السياسي، والتعبير عنه في أمريكا، ويلعب الإعلام في توجيه الرأي العام، والتأثير على نظام الحكم، ورسم السياسة في أمريكا، دوراً رائداً، ولا يختلف الوضع في بريطانيا في هذا المجال، فقد لقيت مغامرة بريطانيا في أزمة قناة السويس معارضة شديدة، ثم لقي ارتباط رئيس الوزراء البريطاني توني بلير بالرئيس الأمريكي معارضة شعبية و وزارية، و وصفه بعض المعلقين الصحفيين بأنه وزير خارجية أمريكا، وليس رئيس وزراء بريطانيا، كذلك لقي عدد من الوزراء البريطانيين مصيرهم المحتوم، باكتشاف فضائح ضدهم.

تواجه بريطانيا وأمريكا وضعاً محرجاً في أوربا، وغير أوربا،

بعد اكتشاف عمليات التعذيب التي مارستها القوات الغاصبة في العراق على السجناء، وما تمارسه أمريكا من أعمال وحشية في جوانتنامو بكوبا. وقد بثت شبكة C.B.S. الأمريكية في أحد برامجها يوم ٢٨/أبريل الماضي صوراً التقطت بسجن "أبو غُريب" تبين القوات الأمريكية، وهي تسيئ إلى عدد من المعتقلين العراقيين، وأظهرت الصور الجنود الأمريكيين، وهم يبتسمون ويقفون لالتقاط الصور التذكارية، ويضحكون ويلوحون بعلامة النصر بأصابعهم، بينما تكوم المعتقلون العراقيون عرايا بشكل هرمي أو وقفوا في أوضاع كأنهم سيمارسون الجنس مع بعضهم بعضاً.

وكتبت كلمات مهينة على بشرة سجين باللغة الإنجليزية، كما اقتاد الجنود الأمريكيون رجلاً آخر ليقف على صندوق ورأسه مغطى، في حين تم توصيل أسلاك إلى يديه، وتمّ إبلاغه بأنه إذا سقط من أعلى الصندوق فسيصعق بالكهرباء.

كما قالت منظمة العفو الدولية في تقرير لها: إن مواطنين عراقيين اعتقلتهم القوات الأمريكية اشتكوا من تعرّضهم للتعذيب والمعاملة المهينة، وقالت منظمة العفو الدولية: مثل هذه المعاملة تساوى المعاملة المحظورة بموجب اتفاقية جنيف الرابعة، وبموجب القانون الدولي لحقوق الإنسان.

وكشفت منظمة العفو الدولية المعنية بحقوق الإنسان عن قيام القوات الأنجلو أمريكية بتعذيب أسرى عراقيين مدنيين وعسكريين.

وقد وجه الديموقراطيون انتقاداتهم الشديدة بكل صراحة، كما نشرت صحيفة واشنطن بوست صوراً جديدةً مثيرةً للصدمة.

وفي خضم هذه الانتقادات الشديدة من قبل الصحافة الأمريكية والنواب الأمريكيين اكتفى الرئيس بوش لتهدئة الرأي

العام الثائر ضده في البلاد، وخارج البلاد بوصف تصرفات الجنود الأمريكيين المعنيين بـ "البغيضة"، وقال: إنها وصمة عار على جبين البلاد، وسمعتها، وما رأيته يثير اشمئزازي، وأضاف في بيانه قوله بأن أفضل صفات أمريكا؛ هي: الشجاعة، حبّ الحرية، التعاطف واللياقة.

إن هذا السلوك اللاإنساني المعارض لحقوق الإنسان والقانون الدولي ليس بقضية استثنائية منعزلة، بل يجري ويتواصل مثل هذا السلوك في "جوانتنامو" المستعمرة التي استأجرتها أمريكا تحت عقد مع كوبا، فقد أثارت الصحافة العالمية المأساة التي تجرى في تلك المستعمرة، وعرفها رجال القانون الأمريكيون، وأثاروها في المحاكم الفدرالية، ونشرت تفاصيل هذه القضية مجلة "إكنومست" في عددها الصادر في ٢٤/أبريل المنصرم عام ٢٠٠٤م (السنة/٣٧١، والعدد/٨٣٧٢). و وصفت هذه المنطقة بأنها مستعمرة لا قانونية، وقد اعترض على إبقاء عدد كبير من الأسرى في هذه المستعمرة ومعظمهم من أفغانستان منذ أكثر من سنتين بدون محاكمة، ولا يقبل الرئيس الأمريكي الدليل القائل بأنه يجب اتخاذ إجراءات قانونية لإثبات جريمتهم.

وعندما أطلق سراح عدد من المعتقلين من أصل بريطاني لم يثبت تورطهم في أي عملية، وتفيد التقارير الصحفية بأن معظم هؤلاء المعتقلين، وضعوا في السجن في شبهة بدون تهمة موجهة إليهم، وأنهم يمرون بالتعذيب أثناء استجوابهم.

إن أخبار هذه الأعمال الوحشية التي تخالف المواثيق الدولية وتتعارض كذلك مع تاريخ أمريكا، فقد كان تاريخ أمريكا إسعاف الإنسانية، وإنقاذ المظلومين والمستعبدين، وادعت أمريكا أنها مأوى البؤساء والمضطهدين، ويرفع هذه الشعارات تمثال رفيع نصب في

نيويورك، وقد ادعى الرئيس الأمريكي نفسه عندما أثيرت قضية التعذيب في سجن "أبو غريب"، لدى اعتذاره بأن صفات بلاده: الشجاعة، وحبّ الحرية، والتعاطف واللياقة، ولكن القيادة السياسية الأمريكية تكتب لأمريكا تاريخاً جديداً، يختلف عن تاريخها الماضي الذي كان تاريخ التعاطف مع البؤساء، والمساكين، والمعدمين، والضعفاء إذا استثنينا ما فعلته في الحرب العالمية الكبرى بقذفها القنبلة الذرية، وإذا استثنينا ما فعلته في فيتنام، إنها قامت بتغذية الشعوب الفقيرة، ومساعدة الشعوب المتخلفة اقتصادياً في إفريقيا، وآسيا. إنها الآن تمحو مآثر ذلك التاريخ، وتكتب تاريخاً جديداً، وهو تاريخ التدخل في الشئون الداخلية، وقهر الشعوب، وإذلالها، وخرق حقوق الإنسان، وانتهاك الحرمات، وتدنيس المقدسات، ولا تفعل ذلك بنفسها، بل تشجع الآخرين على ارتكاب هذه الجرائم، وتدافع عن الذين يضطهدون شعوبهم، ويزجون بالأبرياء من المواطنين إلى السجون بدون محاكمة، ويسلبون الحريات السياسية، والعقدية، والثقافية في بلدانهم، وتساندهم، وقد أدى ذلك السلوك إلى انعزالها في المنابر الدولية كالأمم المتحدة، و وكالاتها المختلفة.

إن الإعلام الأمريكي والقيادات السياسية في أمريكا تتحمل مسئولية إعادة أمريكا إلى مجراها الطبيعي، وإعادة الأمور إلى نصابها، لتعود إلى أمريكا سمعتها، ودورها البناء، دور الوسيط، والمنقذ، المسعف، وتصبح أمريكا حقيقة بلد الشجاعة والحرية والتعاطف.

***

في ولاية "جارخند"

قلم التحرير (س.ا.)

في اليوم الثالث عشر من شهر مايو المنصرم عام ٢٠٠٤م الموافق ٢٢/من شهر ربيع الأول ١٤٢٥هـ ، سافرت إلى مدينة "رانشي" بولاية "جارخند" على دعوة من الأخ الفاضل الأستاذ محمد نظام الدين الندوي ، مبعوث وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية للمملكة العربية السعودية إلى مدينة دبي في دولة الإمارات العربية المتحدة ، وقد شاركت برامج كلية البنات للتربية الإسلامية ، ومدرسه دار العرفان للبنين .

أنشأهما الأخ الأستاذ محمد نظام الدين الندوي ، نظراً إلى حاجة المنطقة ؛ وهو رئيسهما ، وقد حضرت الحفلة الخاصة بالتظاهرات التعلمية التي قامت بها الطالبات ، و وزعت الجوائز والشهادات العلمية للطالبات العزيزات ، وذلك بمحضر من علماء المنطقة ، والجماهير المسلمة .

كانت المناسبة تشمل علة برامج تعليمية وتربوية ، وحفلة دينية عامة للتوجيه الإسلامي ، وبيان سيرة النبي الكريم ﷺ ، مما كان له أثر طيب جداً في نفوس الناس ، وقد استفادوا دينياً ودعوياً .

إن الأخ الفاضل محمد نظام الدين الندوي لجدير بالشكر على هذا المشروع التعليمي الذي بدأه في هذه المنطقة لكي يندفع الناس إلى الاستفادة منه من كل جهة ، ولقد تولى الأستاذ عبد الله الندوي شقيق الشيخ نظام الدين تنظيم جميع البرامج والحفلات ، وأقام مأدبة عشاء في منزله في نفس الليلة .

كما عقد المسئولون عن دار العلوم "إسلام ناغر" التي أنشأها فضيلة الشيخ محمد أنيس الرحمن القاسمي في عام ١٩٦٠م ، وهي من المدارس الملحقة بدار العلوم لندوة العلماء ، حفلة تعليمية ودعوية بالمناسبة ، حضرها جمع من علماء المنطقة والجماهير من الناس ، وألقى فيها جماعة من العلماء كلمات ومحاضرات استمع إليها الناس ، واستفادوا منها فوائد دينية عامة .

الأمين العام لدار العلوم "إسلام ناغر" هو الشيخ شرف الحق

الندوي ، ونائبه الأستاذ ضياء الهدى الإصلاحي ، وقد زرنا بهذه المناسبة جامعة المسلمات للبنات التابعة لدار العلوم "إسلام ناغر" ؛ أمينها العام فضيلة الشيخ علاء الدين الندوي ، ورئيسها الشيخ حبيب الله . وقد تجولنا فيها ، وعلمنا أن هناك عدداً لا بأس به من الطالبات ممن يسكن في القسم الداخلي ، ولهذه الجامعة أثر طيب حول تعليم البنات في المنطقة .

وحضرنا مناسبة إرساء الحجر الأساسي لمدرسة تحفيظ القرآن التابعة لجامعة الفاروق ، في "نغري" في "رانشي" ، أنشأها الأخ الفاضل عمر بن عبد العزيز الندوي ، تحقيقاً لضرورة المنطقة .

وعلى بعد ثلاثين كيلومتراً ؛ زرنا كلية فاطمة الزهراء في بلدة "إتكي" بمديرية "رانشي" التي أنشأها الأخ الفاضل الأستاذ نسيم أنور الندوي قبل مدة لا بأس بها ، لتعليم البنات المسلمات ، وقد تم هناك إرساء الحجر الأساسي لهذه الكلية في أرض واسعة خارج البلد ، كما زرنا في نفس البلد مدرسة إسلامية باسم إمداد العلوم لصاحبها الشيخ خورشيد أحمد ، والمدرسة ملحقة بدار العلوم لندوة العلماء .

و بعد ما قضينا وقتاً طيباً في زيارة المدارس و الجامعات الإسلامية ، قمنا بزيارة مستشفى "أبولو" لصاحبه الحاج عبد الرزاق الأنصاري ، في منطقة "إربا" ، حيث استقبلنا المسئول عنه ، وفي مقدمتهم الأستاذ سعيد الأنصاري ، والأستاذ منظور عالم . وقد علمنا أن هذا المستشفى العملاق يحتوي على جميع آليات العلاج الحديثة ، ويلاحظ المسئولون حالة المرضى ، ويخففون ما استطاعوا من تكلفة العلاج ، كما يعالج الفقراء بشكل مجاني .

وبعد ما قضينا هنا وقتاً مررنا على مدرسة مظهر العلوم للشيخ ضمير الدين الندوي ، وهي كذلك تابعة لدار العلوم ندوة العلماء كمدرسة ملحقة .

قمنا بزيارة المكتب الإقليمي لرابطة الأدب الإسلامي العالمية في ولاية "جارخند" بمدينة "رانشي" ، وقد افتتحه سماحة العلامة الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي ؛ رئيس الرابطة للقارة الهندية و دول جنوب شرق آسيا ، ورئيس ندوة العلماء ، منذ شهرين ، وعين الشيخ آفتاب عالم الندوي مشرفاً عليه . فكانت الزيارة موفقة بفضل الله تعالى ، وباعثة على الفرح والسرور ،

وقد دعانا على الغداء الشيخ عبد الحكيم الندوي بإيعاز من شقيقه الكريم الأستاذ حبيب الله الندوي في منزله العامر، حيث اجتمعنا بنخبة من أصحاب التعليم والتربية.

وقد وُفق الشيخ حبيب الله الندوي - وهو مقيم في دبي، دولة الإمارات العربية المتحدة، كمدرس في إحدى المدارس هناك - إلى إنشاء جامعة الحسنات لتعليم البنات المسلمات في "لوهردكا"، وإنشاء مدرسة أخرى باسم الشيخ بهكاري، وهو رئيس هاتين المدرستين، أما مدير جامعة الحسنات فهو الشيخ أمين الدين الإصلاحي، كما أن مدير مدرسة الشيخ بهكاري الأستاذ عبد الحكيم الندوي.

ولقد ساعدني في هذه الرحلة مساعدة غالية الأخ الأستاذ خالد فيصل الندوي؛ مدير مكتب كلية اللغة وآدابها بندوة العلماء، والأستاذ آفتاب عالم الندوي؛ رئيس جامعة أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها، في "توب جاجي" في مدينة دهنباد - جارخند.

والحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات.

من الإصدارات الحديثة

كتاب الزهد الكبير

للإمام المحدث أحمد بن الحسين البيهقي

صدر هذا الكتاب القيم بتحقيق من العالم المحدث الأستاذ الدكتور تقي الدين الندوي، وتولى إصداره المجمع الثقافي بمدينة "أبوظبي" بالإمارات العربية المتحدة، كان هذا الكتاب مخطوطة غمرتها المكتبات الإسلامية ضمن مجموعة كبيرة من المخطوطات، فوقع اختيار فضيلة الشيخ المحدث الدكتور تقي الدين الندوي على هذه المخطوطة التي تناولها بالتحقيق والتعليق والتصحيح؛ نظراً إلى أهميتها وما تحتوي عليه من إضافات من الزهد والتصوف الإسلامي ومتن الحديث الشريف.

لقد ركز المحقق الجليل على إعداد هذه المخطوطة للطباعة والتوزيع، وإخراجها إلى النور بجهوده المضنية التي بذلها في مجال التحقيق والتصحيح والتعليق، حتى ظهر هذا الكتاب في ثوب قشيب وحلة جميلة تسبي لزمرة

العلماء والباحثين المحققين أن يرتووا من منهله العذب، ويستفيدوا من ملاحه النقية، كما قد شهد بذلك سماحة العلامة الشيخ القاضي أحمد بن عبد العزيز آل مبارك (رحمه الله)، فيقول وهو يذكر الكتاب والمحقق: "وقد بذل فيه جهداً كبيراً، خاصةً في الروايات المرفوعة والموقوفة، وبيّن درجة كل حديث مرفوع، واعتمد في ذلك على كلام السلف الصالحين من المحدثين المتقنين، وشرح ما دقّ وغمض من ألفاظ الروايات ونشر غريبها، وقد أوسع الموضوع تحقيقاً وتدقيقاً، فنحن الآن بأشد حاجة لمثل هذا الكتاب القيم"

والله ولي التوفيق والسداد.

أخبار اجتماعية وثقافية:

"الدعوة الإسلامية في الحقل الطلابي في لبنان" المطلوب الاهتمام بخطاب العقل

حاز الطالب جمل محمود إسماعيل على درجة الماجستير في الدراسات الإسلامية من كلية الإمام الأوزاعي للدراسات الإسلامية في بيروت على رسالته المعنونة: "الدعوة الإسلامية في الحقل الطلابي في لبنان" والتي أعدت تحت إشراف الأستاذ الدكتور زكريا عبد الرزاق المصري.

وتظهر أهمية هذه الرسالة في كونها تعالج قضية تتعلق بالشريحة الطلابية والشبابية التي يؤمل لها دائماً أن تلعب الدور الطليعي في عملية التحرر والنهوض والإصلاح والتغيير، ومن هنا كانت أهداف الرسالة تقديم تصورات واقتراحات وتجارب عملية تشكل منهجاً وبرنامج عمل ينفع الدعاة والعاملين للإسلام في الحقل الطلابي، وفتح الباب للدارسين والمهتمين لهذا الحقل لإعطاء هذا المجال ما يستحقه من دراسة وإرسال صيحة استنهاض، ونفير للقوى والطاقات الإسلامية بعد كشف النقاب عن الواقع المؤلم والمتردي الذي تعيشه البيئة التربوية والتعليمية في ظل التغريب والتجزئة والعلمنة والتطبيع والعولمة.

وقد قسمت الرسالة إلى مقدمة وفصل تمهيدي وخمسة فصول وخاتمة؛ فتتناول الباحث في الفصل التمهيدي ماهية الدعوة وأركانها وأهدافها وفضلها وحكمها وضرورتها وأهميتها، وفي الفصل الأول

عرض للدوافع والمنطلقات الشرعية والواقعية للعمل الإسلامي الدعوي داخل الحقل الطلابي، أما في الفصل الثاني فعرض للأساليب والوسائل الدعوية التي تقود لتحقيق الأهداف فيما تناول الفصل الثالث عملية إعداد الدعاة لينتقل في الفصل الرابع إلى دور الطاقم التعليمي والمجالات المتاحة له للعمل للدين في البيئة التربوية ليعود ويخصص الفصل الخامس لاستعراض عدد من التجارب العملية لبعض الدعاة المعاصرين، وبعض المنظمات الطلابية الإسلامية في لبنان، وأثرها في الإصلاح والتغيير الإسلامي.

وقد تضمنت الخاتمة نتائج وتوصيات دعا إليها الباحث حيث أكد على ضرورة إيقاظ الشعور بالمسئولية الشرعية تجاه فريضة الدعوة الإسلامية لدى المسلمين عموماً، والشباب والطلاب خصوصاً، وإبراز أهمية الحقل الطلابي والميدان التربوي والتعليمي، وضرورة استثماره دعوياً، والاهتمام بخطاب العقل، وتصحيح المفاهيم، والأفكار، كأساس لتغيير السلوك والقناعات لصالح القضايا الإيمانية، والسلوكيات الإسلامية، وإظهار نتائج التحقيقات الميدانية، واستطلاعات الرأي التي قام بها الطالب الباحث على الساحة الإسلامية في لبنان بالإضافة إلى رصد ما تضمنته المنهجية التربوية الجديدة من منزلقات فكرية وسلوكية.

إلى رحمة الله تعالى:

الحافظ محمد أفضل النجرامي

في ذمة الله تعالى

فجعت أسرة ندوة العلماء بوفاة الرجل الصالح الحافظ محمد أفضل النجرامي، الذي كان ينتمي إلى أسرة علمية دينية ببلدة "نجرام" بمديرية "رائ بريلي"، وكان ابن عم فضيلة الشيخ العلامة محمد أويس النجرامي رحمه الله، شيخ التفسير سابقاً في دار العلوم لندوة العلماء، وذلك في اليوم السابع من شهر مايو ٢٠٠٤م، المصادف يوم الجمعة السادس عشر من شهر ربيع الأول ١٤٢٥هـ، **فَإِنَّا لِلّٰهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُوْنَ.**

كان الراحل الكريم قد درس في دار العلوم وحضر بعض التدريبات العلمية التي عقدت في رحاب دار العلوم في سابق الأيام، فكان

يعيش في الشئون التعليمية، وقد بعث نجله العزيز الأخ محمد فيضان إلى دار العلوم حيث تابع دراسته وتخرج من مرحلة الدراسات العليا، وهو الآن موظف في مكتبة شبلي لندوة العلماء، يعمل في قسم الفهرسة، بارك الله في عمره وحفظه من الفتن والشرور.

خلف الحافظ محمد أفضل وراءه أسرة مؤلفة من الأولاد و أمهم، نرجو أن يُوفقوا إلى كل خير، ويتغلبوا على كل مشكلة - بمشيئة الله تعالى -.

تغمده الله سبحانه بواسع رحمته، وغفر له زلاته، وأدخله في الجنة و النعيم، و ألهم أهله؛ و ذويه الصبر و السلوان، **فَإِنَّهُ نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيْر.**

الحافظ حشمة الله في ذمة الله تعالى

بطريق مفاجئ انتقل الحافظ حشمة الله إلى رحمة الله تعالى في ليلة الاثنين ١٢/من شهر ربيع الثاني ١٤٢٥هـ - الموافق أول يونيو ٢٠٠٤م، وكان قد حضر إلى عمله يوم الأحد في دار العلوم ندوة العلماء حسب العادة، إذ كان أستاذاً كبيراً في معهد تحفيظ القرآن الكريم؛ التابعة لدار العلوم ندوة العلماء، واستمر في وظيفته نحو ٤٦/عاماً كأستاذ ثم كمدير للمعهد المذكور، وكان قد أصيب في العام المنصرم بحملة من الفالج، ولكن شافاه الله من ذلك المرض، وكان فضل الله عليه عظيماً، فلم يعد عنده شئ من ذلك المرض، إلا أنه قبل وفاته بساعات أحسّ بألم في القلب، وراجع الأطباء الإخصائيين، الذين طمأنوه ولكن أمر الله كان قدراً مقدوراً، واقاه الأجل في الساعة الواحدة والنصف ليلاً؛ **فَإِنَّا لِلّٰهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُوْنَ.**

كان ذا تواضع و ورع، ومثالاً فذاً لحفظ القرآن الكريم، ومن أجاود الحفاظ لكتاب الله تعالى، وقد انتدبه العلامة الإمام سماحة الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي رحمه الله تعالى، في أوائل السبعينات إلى قرية "رائ بريلي" في أيام رمضان؛ لكي يؤم في صلاة التراويح وقيام الليل، وكان

يحبه لمكانته في حفظ كتاب الله تعالى وتلاوته .

كان أستاذاً بارعاً ومربياً مشفقاً للطلاب في هذا القسم الشريف ، وقد تخرجت على يده أجيال من حفظة القرآن الكريم يقدرون بآلاف مؤلفة ، وكفى ذلك شرفاً له ولتلاميذه المعجبين به .

كان بالغاً من العمر نحو ٧٥/عاماً ، وخلف وراءه ستة أولاد وثلاث بنات ، وزوجة ، وله أياد جميلة على هذه الزمرة الطيبة من حفظة القرآن الكريم ، ندعو الله سبحانه أن يتقبلها منه .

رحمه الله رحمةً واسعةً ، وغفر له ما صدر منه من تقصيرات وزلات ، وأثابه بالمغفرة ، وجنات النعيم ، والله على كل شئ قدير ، وبالإجابة جدير .

رحيل الأخ العزيز الحاج محمد اشفاق سيليه

إلى رحمة الله تعالى

أفادنا الخيّر الشريف الحاج محمد شريف بن الحاج آدم ، صاحب شركة لورنس للساعات ، في مدينة بمبائي ، بوفاة نجله العزيز الحاج محمد أشفاق سيليه ؛ البالغ من العمر ٣٥/عاماً فقط ، في أول فبراير عام ٢٠٠٤م ، عقب نوبة قلبية حادة أثناء استحمامه استعداداً لصلاة عيد الأضحى المبارك ؛ فَإِنَّا لِلّٰهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُوْن .

كان الأخ الراحل إلى رحمة الله تعالى ، يعيش في مدينة هوستن بولاية تكساس في أمريكا ، وكانت عنده تجارة للساعات وما إليها ، كانت وفاته المفاجئة خسارة كبيرة لوالديه وأقربائه .

ندعو الله سبحانه وتعالى أن يستدرك ما فاتهم من قرة عين ويعوضهم عنها بخير في الدنيا والآخرة ، ويكرم المرحوم (إن شاء الله) بالجزاء الأوفى ، ويغفر له زلاته ، ويسكنه فسيح جناته ، ويلهم والديه وأهله الصبر والسلوان .

***

البعث الإسلامي
ندوة العلماء
ص.ب ٩٣ لكناؤ (الهند)
هاتف : ٢٧٤١٢٣٥-٢٧٤١٢٧٢
رقم الفاكس : ٢٧٤١٢٢١-٢٧٤١٢٣١-٠٥٢٢

ALBAAS-EL-ISLAMI
NADWATUL ULAMA
P.O.Box No. 93, Lucknow (India)
Phone:2741235-2741272
Fax:0522-2741221-2741231

رسالة أخوية مهمة

حضرة الأخ القارئ الكريم ! حفظه الله تعالى للإسلام

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

و بعد فأتمنى على الله سبحانه أن تكونوا في خير وعافية وصحة جيدة ، نشكركم على ما تتابعون من قراءة : "البعث الإسلامي" ، وهي مجلتكم و مجلة كل محب للصحافة الإسلامية الهادفة ، تصدر من ٤٨/عاما بالاستمرار ، وهي الآن في عامها التاسع والأربعين – والحمد لله – .

لا يخفى عليكم أن المجلة إنما تصدر في ظروف قاسية جداً ، وبتكلفة باهظة ، وهي بأمس حاجة إلى تعاون كريم منكم ، وذلك بتقديم دعم علمي ومادي منكم ، وببذل شئ من الاهتمام بتوسعة نطاق مشتركين جدد من جملة إخوانكم وأصدقائكم ، ولكم منا الشكر الجزيل ومن الله تعالى حسن القبول .

أرجو التكرم بتحويل أي تبرع أو اشتراك للمجلة بواسطة شيك صادر من أحد البنوك ، باسم : **(ALBAAS-EL-ISLAMI)** .

بالعنوان التالي :
مكتب **"البعث الإسلامي"**
مؤسسة الصحافة والنشر
ندوة العلماء – ص. ب ٩٣
لكناؤ (الهند)

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته
أخوكم المخلص
سعيد الأعظمي الندوي
رئيس تحرير مجلة "البعث الإسلامي"
ص. ب٩٣ – مؤسسة الصحافة والنشر
ندوة العلماء – لكناؤ (الهند)